روايات عبير

آن ميثر

السهم يرتد

www.elromancia.com

مصرية

١٢٦

روايات عبير

HARLEQUIN — "ABIR" — No. 126

www.liilas.com

السهم يرتدّ

الصدفة تلعب دوراً هاماً في حياة الانسان. ايف صحفية لا تخلو من دهاء وخبث، طلبت خدمة من صديقتها صوفي، واعدة اياها بدفع المبالغ المترتبة لمدرسة التمثيل في حال قيامها برحلة بدلاً منها، لزيارة جدها الذي لا يعرفها...

صوفي قبلت العرض مرغمة، وسافرت الى ترينيداد حيث التقت الجد، الذي ادهشها بحنانه وعطفه وطيبة قلبه. ولكن آدج وهو خال ايف كشف اللعبة من اول لحظة، وفاتح صوفي بالحقيقة واتهمها بانها لصة انتحلت شخصية ايف لتحتال على الجد وتحصل على مبلغ من المال وتهرب...

وامام الأمر الواقع، انهارت صوفي... هل يسلمها آدج للبوليس؟ هل يفضحها امام الجد الذي صدق انها حفيدته ووثق بها؟ هل يمكن للرجل الذي احبته ان يدمر حياتها؟ آدج اطلق على صوفي سهماً قاتلاً... ولكن سهم الحب ارتد الى مطلقه!

لبنان ٨ ل.ل.	الكويت ٨٠٠ ف	اليمن ٤ ر	السودان ٨٠٠ م
سورية ٩ ل.س.	الامارات ١١ د	تونس ٧٥٠ د	U.K. £ 1
الأردن ٦٠٠ ف	البحرين ٧٥٠ د	ليبيا ٨٠٠ د	France F 10
العراق ٥٠٠ ف	قطر ١٠ ر	المغرب ٩ د	Greece Drs 180
السعودية ٩ ر	عمان ٧٥٠ ر	مصر ١٠٠ ق	Cyprus P 1250

www.elromancia.com

١ - الخدعة الأولى

ظنت صوفي انها جنت عندما وافقت على المجيء. فماذا كانت تفعل في بورت اوف سباين، وهي تنتظر بقلب مضطرب وصول جد ايف، لياخذها معه؟ كيف تأملت لعب هذا الدور بمهارة فائقة، فلا يشك احد انها ليست ايف هوليستر ؟ الم يكن انتحال شخصية اخرى جرماً؟ ام هل يمكن اعتبار ذلك العمل جرماً حتى عندما يكون الشخص المعني قد اعطاها اذناً للقيام بذلك، لا بل ترجاها في الحقيقة؟ هزت صوفي كتفيها كمن لا حيلة له. كانت راحتا كفيها رطبتين، والعرق يتصبب من عنقها، وساقاها ترتجفان قليلاً. سارت بقلق داخل غرفة الفندق تحاول تهدئة اعصابها، وراجعت مرات عدة ما قالته لها ايف.

قالت لنفسها يجب ان لا اقلق ولكن من دون اقتناع حقيقي. ولم يسبق

لعائلة سانت فينسنتي ان رأت ايف. فكيف في امكانها التعرف اليها. او معرفة اي امر عنها سوى ما اختارت ان تخبرها به في رسائلها؟ في اي حال، الفتاتان تشبه الواحدة الاخرى قليلاً. كانتا شقراوين. وبينما مال شعر ايف الى لون فضي خفيف، كان شعر صوفي ذهبي اللون تشوبه خصلات من لون اغمق. كانتا طويلتين نسبياً، ونحيلتين، واذا كانت صوفي ناحلة اكثر، فذلك بسبب اهمالها الطعام بعض الشيء. اذ لم يكن اجرها القليل يكفيها للاهتمام بصحتها، بل هناك امور اخرى اعتبرتها اكثر اهمية! صوفي تعمل مديرة مسرح في ساندتشيرش. وادركت ايف كم صديقتها حمقاء لقبولها العمل مقابل ذلك الأجر الزهيد.

تعرفت صوفي الى ايف قبل سنوات اربع، عندما كان عمرها ثمانية عشر عاماً وهي في عملها الأول في لندن. ومع انها كانت تفضل ان تصبح ممثلة اذا ما قدر لها ان تختار، ادركت انها تحتاج الى سبل اخرى لتؤمن معيشتها. لذلك تعلمت الاختزال والطباعة على الآلة الكاتبة وعملت في احدى محطات التلفزيون المستقلة.

كانت ايف صحافية شابة وناضجة، وصنعت لنفسها اسماً في فليت ستريت وساعدت صوفي عندما جاءت لتكتب مقالاً عن محطة التلفزيون. وغدت الفتاتان صديقتين فوراً، رغم تناقضهما. تمتعتا بالرفقة من البداية. وعندما اسرّت صوفي الى ايف برغبتها في ان تصبح ممثلة، استعملت الاخيرة نفوذها وفتحت لها المجال للعمل كمديرة مسرح في ساندتشيرش. وبالطبع، ايقنت صوفي ان ايف لم تتوقع منها البقاء في هذا العمل، لكنها بقيت، وكانت سعيدة بطريقتها الخاصة خلال الثلاث سنوات ونصف السنة الماضية. لم يكن لديها الكثير من المال. الا انها كسبت الكثير من الاصدقاء، كما كانت تمضي عطلات نهاية الاسبوع في لندن مع ايف من وقت الى اخر. حتى بدت ايف كأنها تحيا حياة اكثر اثارة من صوفي، على رغم ارتباط الاخيرة بالمسرح. اذ دعيت كثيراً الى الحفلات كما حصلت على اجازات مجانية لتغطية بعض الاحداث. زاد عدد اصدقائها ولم تكن تمضي وقتاً طويلاً مع والدها المتقاعد الذي كان يقيم في كينسنغتون.

ولم يكن امام ايف سوى ان تخبر صوفي بأن امها توفيت اثناء ولادتها وان

والدها يلومها...

رأت صوفي في ذلك الوضع مأساة، فقد رعتها عمتها المسنة في طفولتها ولم تعرف مطلقاً معنى ان يكون لها ابوان. وشعرت عندما تصورت نفسها مكان ايف بأنها كانت ستجد من الضروري ان تحاول جهدها لتبرهن لوالدها بأن وجودهما وحيدين يعني تالياً ضرورة اهتمام الواحد منهما بالآخر. ولكن الأمر لا يخصها. ولم يكن في استطاعتها ان تفعل اكثر من تذكير ايف احياناً بضرورة اكثار زياراتها لوالدها.

توفي والد ايف قبل نحو ستة اشهر، وحضرت الدفن مع صوفي، واخبرتها في ما بعد انها يجب ان تبلغ عائلة والدتها بالأمر. كانت هذه هي المرة الأولى التي سمعت فيها صوفي عن عائلة والدة ايف ودهشت عندما علمت بأنها عائلة ثرية وتملك مزارع شاسعة في ترينيداد.

وعندما اخبرتها ايف ان والدتها هربت كي تتزوج جيمس هوليستر وهي في الثامنة عشرة من عمرها، فهمت صوفي لماذا لم تسمع ايف تذكر اي شيء عن عائلة والدتها. لكنها الآن تعرف القصة كلها. كان والد ايف مهندساً يعمل في مشروع عمراني في ترينيداد عندما قابل والدتها. واعتبر جيمس هوليستر بانه غير لائق بالعائلة وغير متكافىء من حيث الثراء مع عائلة سانت فينسنتي اضافة الى ان والدة ايف كانت مخطوبة لابن عائلة ثرية اخرى في الجزيرة. لكن ايف قالت، ببعض السخرية، انهما احبا بعضهما البعض من النظرة الأولى. وهرب الحبيبان الى انكلترا ولم يعودا الى ترينيداد ابداً. وبالطبع، قاطع جدها ابنته تماماً، ولم يلن قلبه، حتى عندما علم انها توفيت وهي تضع مولودتها. انفطر قلب والد ايف لوفاة زوجته، على رغم رعايته الجيدة لايف. لكنه لم يهتم بها كثيراً. فترعرعت في كنف عماتها ودرست في مدرسة داخلية، واخيراً مكنتها موهبتها الكتابية من الحصول على احد المناصب الأكثر اجراً في الصحافة البريطانية.

لم تسمع صوفي المزيد عن سانت فينسنتي الا لأسابيع قليلة خلت، عندما دعتها ايف الى تمضية عطلة نهاية الاسبوع في شقتها. واخبرتها بانها كانت تراسل جدها خلال الشهور القليلة الماضية ويبدو ان قلبه قد لان على مر السنين لأنه اجابها فوراً على الرسالة المتعلقة بوفاة والدها، وكتب اليها

رسائل عدة.

سرت صوفي لاخبار صديقتها. وظنت ان ايف ستعرف اخيرا بهجة الانتماء الى عائلة حقيقية. لكن ايف كانت غامضة كالعادة. واعترفت بان فكرة الصلح اول الأمر مع عائلة والدتها قد راقت لها، لكن جدها اقترح ان تأتي الى ترينيداد، الى منزله في بوانتي سانت فينستي لقضاء بضعة اسابيع تتعرف خلالها الى اقاربها.

قالت ايف:

ـ هل تستطيعين ان تتصوري يا عزيزتي ان انقطع انا عن المدينة لبضعة اسابيع! يا للسماء، سوف اجن حتماً!

لم تعرف صوفي بماذا تجيب. فمن ناحية كانت تفهم تمنع ايف، فهي ببساطة من النوع الذي لا يستطيع العيش من دون النمط الصاخب في حياتها الراهنة. الا انها من ناحية اخرى كتبت رسائل لجدها مهدت فيها لطلبه هذا.

واخيراً سألتها صوفي:

ـ ماذا تزمعين ان تفعلي اذن؟

ـ فكرت انك تحبين الذهاب عوضاً عني.

وقبل ان تتمكن صوفي من الاحتجاج، تابعت:

ـ لا تقولي لا فوراً. فكري في الأمر.

تنهدت صوفي بعمق:

ـ لا يمكن ان تكوني جادة!

ـ لم لا؟

ـ حسناً، لأن الأمر مستحيل!

ـ لماذا؟

نظرت صوفي في عيني ايف علها تجد دليلاً على انها تمزح فقط، ولا داعي لأخذ كلامها على محمل الجد.

ـ ايف!

ـ اصغي الي يا صوفي. الم تخبريني منذ بضعة اسابيع ان رودريك هارفي ينظم مدرسة صيفية للممثلين في روما هذه السنة؟

ـ نعم، بالطبع.

ـ حسناً، الا تحبين الذهاب؟

ـ انا؟

ونظرت صوفي الى صديقتها مندهشة:

ـ احضر المدرسة الصيفية؟

ـ نعم. بامكاني ترتيب الأمر.

ـ لكن ليس بامكاني تحمل النفقات.

ـ انا استطيع ذلك.

ـ آه يا ايف، بحق السماء، ماذا تحاولين ان تقولي؟ اذا ذهبت الى ترينيداد عوضاً عنك سترتبين امر ذهابي الى مدرسة رودريك هارفي في الصيف؟

ـ هذا صحيح.

ذهلت صوفي وقالت:

ـ ولكن لماذا؟ لماذا تفعلين ذلك؟

نهضت ايف ومشت حافية القدمين على السجادة الوثيرة في الغرفة.

ـ هل يجب ان يكون هناك سبب؟ اننا صديقتان. وظننت ان واحدتنا يمكن ان تساعد الاخرى من دون اسباب كثيرة لذلك.

بسطت صوفي ساقيها امامها:

ـ انت تعلمين انني افعل اي شيء لأساعدك يا ايف. ولكن هذا الأمر مختلف.

ـ كيف ذلك؟

ـ انت تعلمين كيف.

ونظرت صوفي الى ثقب صغير في سروالها محاولة عدم التفكير في العرض الذي كانت ترفضه.

ـ لا اعلم.

اجابتها ايف واسندت جسمها باهمال الى رف الموقد واضافت:

ـ ها انذا اعرض عليك ليس فقط فرصة لحضور المدرسة الصيفية بل ايضاً عطلة لاسابيع عدة في احدى الجزر الأكثر اثارة في العالم. ظننت

www.liilromancia.com

انك ستقبلين بحماسة.

- هل كنت تقبلين انت؟

اجابت ايف:

- نعم، اقبل. حقيقة يا صوفي اين روح المغامرة لديك؟ الا تريدين رؤية شيء من هذا العالم وتستمتعين به قبل ان تصبحي اكبر سناً؟ لن تحققي شيئاً وانت تعملين في مسرح من الدرجة الثالثة في ساندتشيرش!

تخضبت وجنتا صوفي وقالت:

- ليس مسرحاً من الدرجة الثالثة. وانا مسرورة لانك ذكّرتني بانني اعمل هناك!

- في امكانك اخذ اجازة من العمل.

قالت ايف بنفاد صبر واضافت:

- يمكنهم الاستغناء عنك كما تعلمين.

كان في امكان ايف ان تكون قاسية اذا عارضها احد، وصوفي على علم بذلك منذ بداية صداقتهما، فحاولت الا تتأثر بما قالته. وادركت انها تتبع هذا الاسلوب لتقنعها بتغيير رأيها، وبدت ايف مدركة ان اسلوبها لن يوصلها الى نتيجة، فتنهدت ثم قالت معتذرة:

- اني آسفة يا صوفي. انا سيئة. لكني كنت اعتمد عليك لاخراجي من هذه الورطة.

ونظرت صوفي اليها قائلة:

- اي ورطة؟

هزت ايف كتفيها وبحثت عن علبة السكائر. قدمتها الى صوفي التي اعتذرت، لأنها نادراً ما تدخن الا اذا عانت من توتر عصبي في ليلة افتتاح احدى المسرحيات.

- لقد وافقت على الذهاب الى بوانتي سانت فينسنتي.

سألت صوفي بدهشة:

- ولكن لماذا؟

هزت ايف كتفيها، قائلة:

- آه، انت تعلمين كيف تحدث مثل هذه الاشياء. يبدأ الواحد منا امراً

كهذا، لكن سرعان ما يفلت زمام الأمر من بين يديه.

- ولكن كان عليك التأكد اذا كنت تريدين الذهاب ام لا!

- انت لا تفهمين. ظن جدي في رسالته بانني اود الذهاب الى ترينيداد. ويبدو واضحاً انه ندم كثيراً على ما حدث قبل خمسة وعشرين عاماً، ويريد التعويض عن ذلك الآن. اعتقد انه يراني يتيمة ووحيدة ومن دون عائلة بعد وفاة والدي.

- في الواقع، هذا صحيح.

- نعم، ولكن ليس كما يعتقد هو. اعني... اخر امر ارغب فيه هو والد هرم يترقب تحركاتي!

وتنهدت صوفي. كان واضحاً ان الصورة التي كونها جد ايف عنها مختلفة لدرجة عظيمة عن حقيقتها. ثم قالت لها:

- ما عليك الا ان تكتبي وتبلغيه بأن عملك لن يسمح لك بالذهاب في هذا الوقت.

اجابت ايف باصرار:

- لا، لا اريد ان افعل ذلك.

- لماذا؟

- حسناً... لا تغضبي اذا قلت لك.

- اذا قلت ماذا؟

واسندت صوفي ذقنها الى يدها.

- حسناً، هم لا يعلمون انني صحافية.

- ماذا؟

- انها الحقيقة. كانت لعبة لعبتها.

- لعبة؟

- نعم.

ثم اضافت ايف بتردد:

- عندما كتبت اخبر جدي بوفاة ابي، لم اذكر طبيعة عملي، وعندما رد على رسالتي كان واضحاً انه ظن انني اعمل كسكرتيرة. وتركته يستمر في اعتقاده هذا.

- ولكن لماذا؟

- آه، اعتقد انني لو اخبرته كوني صحافية لحطمت الصورة التي كونها عني.

- بأي طريقة؟

- حسناً، الصحافيون... وخاصة النساء، هم عادة من النوع الواثق من ذاته والقاسي اذا جاز التعبير. وعلمت ان جدي لن يستجيب لانسان من هذا النوع، لذا تظاهرت انني اعمل سكرتيرة.

- آه، ايف!

هزت ايف كتفيها. فعادت صوفي لتسأل:

- وماذا في ذلك؟ ثم ما علاقة هذا الأمر بذهابك؟

- جدي رجل عجوز، اسعدته رسائلي، واعادت اليه ثقته بنفسه. اذا رفضت الذهاب الآن، ففي وسعك ان تري اثر ذلك عليه؟

احنت صوفي ظهرها. بالطبع، كان في امكانها ان ترى ذلك جيداً. تعلق هذا الرجل بايف وبالراحة التي وجدها في رسائلها، والأمل على رؤيتها وتمضية اواخر ايامه معها. فكيف سيكون في وسعها ان تخيب امله الآن؟

شعرت صوفي بايف تحدق فيها، وقالت لها وهي تهتز بضعف:

- عليك الا تذهبي.

- لكنني لا استطيع.

- تعنين انك لن تذهبي.

- كلا اعني انني لا استطيع. عدا عن اي امر آخر، لدي مهمة قريباً مع جون فيلوز. تعرفين من هو جون فيلوز، اليس كذلك؟

كانت صوفي قد سمعت به واومأت برأسها وتابعت ايف حديثها:

- حسناً، عرضت علينا انا وجون فرصة الذهاب الى الشرق الأوسط. الصحيفة تريد منا تحضير سلسلة مقالات عن رجال الدولة في الشرق الأوسط، واذا نجحت المهمة فمن يعلم الى اين قد تؤدي؟

اشارت صوفي بيدها معترضة وقالت:

- رويدك لحظة. رويدك. فأنا لا شأن لي بالأمر. تبدو رحلتك عظيمة،

اعني رحلة الشرق الأوسط، ولكن في ما يختص بجدك...

- يا عزيزتي، هل ستحرمينني فرصة العمل مع جون؟ هذا ما كنت اخطط له منذ اعوام.

- ايف. لا علاقة لي بالأمر! لا يمكنك فعل الامرين معاً، عليك ان تختاري.

ساد الصمت فترة طويلة ثم قالت ايف بتمهل:

- وانا اعتقدت انك صديقتي!

- انا صديقتك.

- الاصدقاء يتعاونون. كما ساعدتك انا عندما اردت ترك عملك في الطباعة والانضمام الى الشركة المسرحية.

حدقت صوفي فيها غير مصدقة:

- ولكن ذلك الأمر يختلف تماماً.

- كيف ذلك؟ من دون مساعدتي لكنت الى الآن تضربين على الآلة الكاتبة في اغلب الظن. ان شق طريقك بمفردك في عالم المسرح ليس بالأمر السهل.

- اعلم ذلك، ولكن...

- ولكن ماذا؟ كنت ستتمكنين من ذلك في اي حال؟

- لم اقل ذلك.

شعرت صوفي بالصدمة:

- ايف، هل تدركين ما تطلبين مني القيام به؟

- نعم. اني اطلب منك قضاء بضعة اسابيع في مزرعة في جزر الهند الغربية متظاهرة بانك انا. وبهذا تساعدين رجلا عجوزاً على الموت بسعادة.

- تجعلين الأمر يبدو شديد السهولة!

- انه سهل. اين المشكلة؟ لم يقابلوني قط. لا يعلمون عني اي شيء سوى ما اخترت ان اكتبه في رسائلي. تقولين انك ترغبين في ان تصبحي ممثلة. حسناً، هذه فرصتك لتبرهني مقدرتك. بعدها هناك المدرسة الصيفية في روما بانتظارك.

www.elromancia.com

مررت صوفي اصابعها في شعرها الكثيف المنسدل على كتفيها، وقالت:

- انك تعقدين الأمور يا ايف!

انتهزت ايف الفرصة واقتربت من صوفي واخذت يديها وقالت:

- يا عزيزتي، انا لا اريد ابتزازك، ولكن الا تستطيعين ان تري انه بامكانك القيام بالأمر! الا تريدين ان تكوني مسؤولة عن ادخال بعض السعادة الى حياة براندت سانت فينسنتي؟

رف جفنا صوفي وقالت بدهشة:

- براندت سانت فينسنتي؟ هل هذا اسم جدك؟

اومأت ايف برأسها علامة الايجاب. عادت صوفي تسأل:

- هل لديك ... جدة.

هزت ايف رأسها نفياً:

- كلا، ماتت قبل نحو عشر سنين.

- وهذا الرجل المسن... هل يعيش بمفرده؟

- كلا، هناك ابنه ... خالي، المدعو آدج.

قالت صوفي محاولة الا تظهر اهتماماً:

- ادج؟ ويعيش مع جدك؟

- نعم.

- وهو غير متزوج؟

- انه ارمل. اتصور انه مدير اعمال جدي. لا بد انه في منتصف العمر الآن.

- هل ... هل هما العائلة كلها؟

- كلا. هناك عمة امي روزاليند وينادونها روزا على ما اعتقد. هكذا اشار جدي الى اسمها في رسائله.

سحبت صوفي يدها من يد ايف وازاحت الشعر عن وجهها.

- اهذا كل شيء؟

- حسبما اعتقد. في اي حال، ليس من المتوقع ان تعلمي اكثر مما ذكر في الرسائل. في امكانك قراءتها اذا احببت. وعندها ستعلمين بكل التفاصيل مباشرة.

- كلا، شكراً.

قالت صوفي ذلك وشعرت بشيء من النفور من الفكرة، فقد كتب جد ايف تلك الرسائل بصدق. ولم يكن يتوقع ان تعرض رسائله على اصدقائها.

نظرت ايف اليها بنفاد صبر وسألتها:

- حسناً؟ هل ستذهبين؟

هزت صوفي رأسها وقالت:

- لا ادري، حقاً لا ادري. اعطني بعض الوقت لأفكر بالأمر.

ولكنها بالطبع كانت قد قبلت ضمناً. كما علمت ايف منذ البداية. حاولت صوفي ان تقنع نفسها بان دوافعها كانت في الأساس تجنيب براندت سانت فينسنتي، الاصابة بخيبة امل. لكنها في داخلها احتقرت نفسها لأن ذهابها المقترح الى مدرسة الممثلين الصيفية، هو الذي ساعد في تقبلها فكرة الذهاب.

والآن ها هي في غرفة الفندق في بورت اوف سباين. تنتظر بنفاد صبر مجيء جد ايف ليلتقي حفيدته المفقودة. كانت ايف قد اقترحت عليها الانتظار الى حين وصولها الى بورت اوف سباين ثم الاتصال بعائلة سانت فينسنتي. فبهذه الطريقة تتجنب تعرضها الى اي ارتباك في معاملات الدخول الرسمية. واندهشت صوفي من قدرة ايف على الانحراف اذا تطلب الأمر منها ذلك. واخذت تتساءل عن مدى معرفتها لها بعد كل هذه الأعوام.

وقفت قرب النافذة تنظر الى الشارع المزدحم. كانت ايف قد الحت عليها ان تقيم في فندق فخم يقع في وسط المدينة باهظ الكلفة جداً. وتساءلت صوفي اذا كان في امكانها الاستمرار في الاقامة فيه اكثر مما توقعت من دون ان يأتي ذلك على ما لديها من نقود. واخافها الازدحام البشري الذي رأته من النافذة بعض الشيء. وهي لم تكن سافرت كثيراً من قبل، وشعورها الآن بأنها لم تكن تعرف اي شخص بين جميع هؤلاء الناس المتنوعي الجنسيات والاعراق كان شعوراً مخيفاً.

رأت نساء هنديات يلبسن الساري، ورجالاً اميركيين يلبسون قمصاناً

ترمز الى جزيرة هاواي وقبعات من القش ورجالاً يعتمرون العمامات والطرابيش، وفتيات صينيات جميلات ذوات بشرة زيتونية اللون يلبسن ثياباً رائعة التصاميم، ونساء افريقيات يحملن رزماً هائلة على رؤوسهن برشاقة طبيعية. وصدحت ابواق السيارات ودوت اجراس الدراجات الهوائية، اما الذين كانوا جسورين الى درجة كافية لركوب الباصات الزاهية الالوان، فتعلقوا بالأبواب يقفزون من الباص واليه حيثما احبوا. عكس المنظر اثارة ومتعة كانتا غريبتين عن صوفي تماماً. وفجأة رن جرس الهاتف عالياً قرب السرير، كادت صوفي ان تقفز من الهلع. واستدارت تنظر اليه وشعرت بخوف حقيقي يجتاحها. فعائلة سانت فينسنتي كانت الوحيدة في هذا المكان التي عرفت انها موجودة في بورت اوف سباين ولا بد ان هذه المكالمة لها علاقة بها. فجأة شعرت بانها لا تستطيع الاستمرار وسمعت الهاتف يرن ويرن في موجات خوف غير معقولة اجتاحتها.

توقف الرنين واعادها الصمت الذي تلاه الى رشدها. وانهارت يداها الى جانبيها، واخذت تتنفس بعمق محاولة تهدئة اعصابها المضطربة. كان عليها الاجابة على المكالمة، قالت لنفسها بحزم. ماذا لو ان عاملة الهاتف فكرت في ان تنظر الى اسم من يشغل الغرفة ذات الرقم ٧٥؟ ماذا لو اكتشفت انها ليست الآنسة هوليستر بل الآنسة سلاتر؟ اضطرب قلب صوفي وعبرت الغرفة بسرعة وجلست على حافة السرير ورمقت سماعة الهاتف.

كانت هذه فكرة منحرفة اخرى من افكار ايف: ان تقيم في فندق كبير لا يتذكر العاملون فيه اسماء جميع النزلاء، ومن ثم تضع رقم الغرفة فقط في رسالتها الى سانت فينسنتي. وبالطبع، كان عليها حجز غرفة باسمها الحقيقي، لأنهم طلبوا جواز سفرها للتحقق من شخصيتها. ولكن ماذا يمكن ان يحدث الآن اذا كانت عاملة الهاتف تبحث في سجلات الفندق وتبلغ الشخص الذي يحاول الاتصال بها انه لا يوجد احد باسم هوليستر في الفندق؟

عندما اجابت عاملة الهاتف. قالت صوفي:

ـ هل كنت تحاولين الاتصال بي؟ اخشى انني كنت في الحمام.

ـ الآنسة هوليستر؟

سألت عاملة الهاتف بتهذيب:

ـ نعم.

وعقدت صوفي اصابعها.

ـ هناك خط في الحمام يا آنسة هوليستر.

اخبرتها عاملة الهاتف بنعومة. ثم تابعت:

ـ حاولنا معرفة مكانك. هناك رجل في الردهة ينتظر ان يراك، السيد سانت فينسنتي.

سانت فينسنتي! كاد ذكر الاسم ان يحطم كل ثقتها الجديدة بنفسها. انه الآن في الردهة. لم تتوقع منه المجيء قبل ان يتصل بها اولاً.

واستطاعت ان تحافظ على نبرة هادئة في صوتها، وقالت:

ـ عرفت سوف احضر. اعطني خمس دقائق.

ـ حسناً جداً يا آنسة هوليستر. سأبلغ السيد سانت فنسنتي انك ستحضرين فوراً.

ـ شكراً لك.

اعادت صوفي السماعة ونظرت الى فستانها القطني البسيط الذي كانت ترتديه. هل كانت ايف سترتدي هذا النوع من الملابس في لقائها الأول لجدها؟ ام هل كان عليها ارتداء ملابس اكثر وقاراً؟ هزت كتفيها. ايف لم ترد لها ان تتصرف بصورة تختلف عن الصورة العادية، وبدا الفستان الأزرق الفاتح ناعماً وجذاباً يتماشى وبشرتها الباهتة.

تنهدت عميقاً ونهضت الى المرآة تنظر الى وجهها. بدا خداها شاحبين وعيناها الرماديتان كانهما تلومانها على ما كانت توشك القيام به. ولكن الوقت دهمها الآن ولن تستطيع التراجع. هي هنا الآن وعليها القيام بعمل تعهدته.

عندما دخلت مصعداً شغله فتى محلّي داكن البشرة، ابتسم لها وعلق بمرح على الطقس وهما يهبطان الطوابق الستة التي تفصلها عن الطابق الأرضي.

كانت ترتجف وهي تسير نحو الردهة، ولكن كان عليها الاستمرار.

عبرت قرب طاولة الاستقبال وهي تتفحص الرجال الذين يقفون وحيدين او جماعات، لكن احداً منهم لم يبد مسناً الى درجة توحي بأنه جد ايف.

موظف الاستقبال شاب نحيل هندي الاصل ابتسم مرحباً عندما اقتربت منه.

- انا . . . انا الآنسة هوليستر.

قالت بصوت اقرب الى الهمس.

- فهمت ان احداً ما ينتظرني.

- آه، اجل يا آنسة هوليستر. ان السيد سانت فينستي ينتظرك في ردهة كينغستون.

- كينغستون؟ اين، اين هي؟

- عبر ذاك الممر يا آنسة، تجدين اشارة الى يمينك.

- آه. شكراً لك.

سارت نحو الممر الذي اشار اليه الشاب الهندي، ونظرت حولها. رأت اشارات مضيئة عدة ترشد الضيوف الى انحاء الفندق المختلفة، وكان من السهل عليها رؤية الاشارة، ولكن هل كان من السهل ان تتعرف الى جد ايف؟ كل شيء في الفندق عكس فخامة لم تكن خبرتها قبلاً. ولم تكن ردهة كينغستون مختلفة عن بقية الفندق. حتى في هذه الساعة المبكرة رأت زبائن يجلسون الى طاولات محاطة باحواض من العرائش النضرة والمزهرة. كانت قناديل سفن قديمة تضيء المكان بنورها الخافت وتلقي بظلها على زوايا معينة محدثة جواً حيياً.

نظرت صوفي ثانية الى فستانها القطني البسيط. وفكرت بانزعاج في انه كان يجدر بها ابداله. في اي حال، نظرت حولها بعينين ضائعتين. اين هو جد ايف؟ حتماً كان عليه ان ينتظر قرب باب الردهة ويراقب وصولها. لكنها لم تر احداً قرب المدخل، لم يكن احد بمفرده سوى رجل اسمر يشرب كوباً من الشاي.

ما كادت عيناها تتوقفان عند الرجل حتى ادار رأسه ونظر ناحيتها وشعرت برعشة خوف تغمرها، من جاذبيته الشديدة التي لم تر لها مثيلاً في حياتها، مع انها رأت شيئاً قاسياً في خط فمه الرقيق، كانت عيناه بلون

عسلي غريب، اجالتا النظر في صوفي بتمعن وقح.

حولت نظرها بعيداً عنه بسرعة. لم تكن معتادة ان ينظر اليها احد على ذلك النحو ولم تطمئن الى ذلك. اين هو براندت سانت فينستي اذن؟ لماذا لا يتقدم ويعرف بنفسه؟ حتماً لو كان هنا لاستطاع ان يرى بوضوح انها كانت تبحث عن شخص ما.

نهض الرجل عن كرسيه واحتسى جرعة من كأسه، واسرّ بشيء الى الساقي ثم سار نحوها. تسارع نبض صوفي باضطراب وكادت تستدير بعيداً. يا للسماء. فكرت بوجل.. انه يعتقد بأني ابحث عن رجل!

- ايف!

ناداها صوت الرجل الجذاب وقد دنا منها، شهقت واستدارت ثانية. كان الرجل واقفاً قبالتها بارتخاء اصبح اكثر اثارة عندما اقترب منها، وبالكاد استطاعت صوفي ان تصوغ ما ارادت قوله.

- انا . . . انا اعتقد بانك مخطىء.

بدأت تقول له عندما قاطعها:

- انت ايف هوليستر، اليس كذلك؟

سألها ورفع حاجبيه بتهكم. حدقت صوفي فيه.

- في الواقع. . . اجل. انا هوليستر. ولكن. . . ولكن من انت؟

اعتدل في وقفته واجاب:

- اسمي آدج سانت فينستي. لا بد ان يكون ابي قد ذكرني في رسائله.

- آدج. . . انت كنت . . . اعني. . . انت شقيق امي؟

- اعتقد ان لي هذا الشرف.

وشعرت بانه كان يستمتع بارتباكها.

- اذن هل انت. . . السيد سانت فينستي الذي ينتظرني؟

بالكاد استطاعت ايف استيعاب الأمر. هذا الرجل هو آدج سانت فينستي شقيق والدة ايف. الرجل الذي وصفته ايف بأنه ارمل في منتصف العمر!

هزت رأسها. لم يكن آدج سانت فينستي في منتصف العمر. واستبعدت ان يكون الشخص الماثل امامها قد تجاوز الخامسة والثلاثين

وشعرت ان الخبرة التي عكستها عيناه العسليتان الغريبتان لم تصنعها زوجته!

٢ ـ ثلاثة رجال وصبيّة

ـ هذا صحيح.

قال لها آدج سانت فينستي وأضاف:

ـ من كنت تتوقّعين؟

جمعت صوفي انفاسها:

ـ انا... أنا ظننت... جدي...

ـ آه فهمت. آسف لانني خيبّت أملك، ولكنّ والدي نادراً ما يأتي الى بورت اوف سباين. انه لا يحب...

ونظر حوله بتمعّن وهزّ كتفيه متابعاً:

ـ جو المكان.

وضغطت صوفي يديها وقالت:

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

- فهمت.

عاد آدج ينظر اليها بامعان مما جعل خديها يتخضبان:

- اذن أنت ايف. لا تشبهين والدتك كثيراً.

حاولت صوفي أن ترد نظرته.

- أعتقد أنني أشبه والدي.

- اعتقد.

أجابها وقد بدا تعبيره متأملاً.

- حسناً... هل نشرب شيئاً؟

ترددت صوفي:

- انا لا اشرب... كثيراً.

- ألا تفعلين؟

وعاد الحاجبان الداكنان يرتفعان وأضاف:

- اعتقدت أنّ كلّ النساء الصحافيات يستمتعن بالجانب الاجتماعي لعملهن.

- النساء الصحافيات؟

صدمت صوفي ولم تستطع اخفاء صدمتها.

- نعم.

استدار آدج عائداً لمكانه السابق واضطرت هي الى اللحاق به، ثم تابع حديثه:

- انت صحافية، أليس كذلك؟ أم أنّ ايف هوليستر اخرى؟

شعرت صوفي بالرعشة فبجملة واحدة حطّم آدج سانت فينسنتي كلّ الصورة التي خلقتها ايف بعناية عن ذاتها. كان عليها أن يعلما أنّ عائلة مثل عائلة سانت فينسنتي لن تقبل أيّ غرباء عنها من دون استقصاء. ولكن الى أي درجة تمّ ذلك؟ ومن قام بالمهمة؟

نظرت نظرة جانبية سريعة اليه. بدا مسترخياً الى درجة كافية. لم يكن ثمة حكم في تعليقه. ولكن كيف تستطيع أن تتأكدّ؟ عاودتها مخاوفها القديمة. كان عليها ألاّ ترضخ لايف، وكان عليها عدم الموافقة على المجيء لأنها لن تفلح بالقيام بما أوكل اليها. اشار آدج عليها بالجلوس على أحد

المقاعد الطويلة بينما نادى الساقي.

جلست صوفي بارتباك محاولة بيأس أن تجد جواباً لما قاله.

جلس آدج قربها بسهولة وأسند مرفقيه الى الطاولة. كان أطول منها بكثير. وعندما اقترب الساقي طلب لنفسه بعض الكولا ثم نظر بتساؤل ناحية صوفي وسألها:

- ماذا تشربين؟

مرّرت صوفي لسانها على شفتيها الجافتين، وقالت:

- ليموناضة.

- ليموناضة!

بدا عليه انه يتسلى:

- حسناً وكوباً من الليموناضة ايضاً.

- نعم يا سيد سانت فينسنتي.

وضعت صوفي يديها على الطاولة لتوقف ارتعاشهما.

نظرت بعصبية الى المنطقة المعتمة حولها، وتحركت ببعض الارتباك على مقعدها. وتساءلت ما اذا كان مدركاً لحالتها العصبية. تناول علبة سيكار طويلة ونظر اليها بامعان.

- اخشى انه لا يمكنني أن أقدم اليك السكائر.

- أنا... أنا لا أدخن.

- ألا تدخنين حقاً؟

وضاقت عيناه وهو يضع سيكارا ضخماً بين اسنانه.

- أغرب... وأغرب.

اقتنعت صوفي بأنه يلعب معها لعبة القط والفأر. فتحت فمها لتقول أن لا داعي لقول المزيد. ولتعترف بالحقيقة. بأنها ليست ايف هوليستر وتزمع على مغادرة ترينيداد على متن أول طائرة مغادرة. ولكن الكلمات لم تخرج بالمرّة، اذ قاطعها قائلاً:

- اعتقد انه يجب أن تناديني خالي، أليس كذلك؟

اطبقت صوفي أصابعها في كفها.

- أنا... أنا اذا أحببت.

كان آدج سانت فينسنتي جدّياً الآن واختفى المكر من عينيه.

- هذا ما يتوقّعه أبي.

قال لها بهدوء وأشعل سيكارة بولاعة ذهبية. نفخ دخانه وأكمل:

- هذا أمر يعود اليك على ما أعتقد!

عاد الساقي وهو يحمل شرابهما. وضع الكأسين أمامهما ثم مسح الطاولة بقطعة قماش مبللة كأنه ينتظر حدوث أمر آخر. أومأ آدج شاكراً، ثم قال له:

- ابلغ صهرك أن يتصّل بي هاتفياً وسأرى ما بوسعي فعله.

- نعم سيدي وأنا شاكر لك يا سيد سانت فينسنتي.

- لا بأس.

واشار آدج إليه بالانصراف فابتعد ليخدم زبوناً آخر... ثم وجّه آدج انتباهه مرّة اخرى نحو صوفي.

- والآن. اخبريني. هل كانت رحلتك طيبة؟

استدارت أصابع صوفي حول كأسها كأنه حبل نجاة وأجابت بسرعة:

- نعم شكراً لك.

كادت أن تكمل قائلة بأنها لم تعتد السفر بالطائرة كثيراً لتعلم الجيّد من الرديء في رحلات الطيران، لكنّها كانت حذرة مما قد يكتشفه عنها وتابعت:

- وصلت مساء أمس.

- نعم.

ردّ آدج وشرب بعض الشراب. وانتبهت صوفي الى أصابعه الطويلة ويديه... يدان لا تشبهان أيدي المزارعين. لكنّ عائلة سانت فنسنتي لم تكن عائلة مزارعين عاديين أم هل هي كذلك؟ قاطع تأملها بقوله:

- فرح والدي جداً عند تسلّمه برقيتك. كان عليك اعلامنا بوقت وصولك وكان في استطاعة أحد ما أن يستقبلك في المطار.

- أنا... أنا علمت أنّ الطائرة ستصل في وقت متأخر جداً...

واختفى صوت صوفي. شربت بعض الليموناضة. وأخبرت نفسها أنّ هذه مجرد بداية وأنّ الامور ستصبح أصعب مما هي عليه الآن بكثير.

- لا يهم.

قال آدج مقاطعاً استرسالها. نفث دخان سيكاره فعبقت رائحة تبغ الهافانا حولها.

- أنت هنا الآن، وهذا ما يهم، أليس كذلك؟

- نعم.

وتمنت صوفي لو أنها كانت واثقة كما بدت وسألته:

- كم يبعد... بيتك؟

- بوانتي سانت فنسنتي؟

سألها وهو يهز كتفيه:

- قرابة ثلاثين ميلاً شمالاً من هنا على الساحل.

نظرت صوفي الى كأسها وقالت:

- أنا... أتطلّع الى مقابلة... جدي.

- أتوقع منك ذلك.

كانت عينا آدج تخترقانها بهدوء يفقد الاعصاب.

- هل انت مستعدة للذهاب؟

- الآن؟

- خلال بضع دقائق.

تذكّرت صوفي فاتورة الفندق وهي باسم صوفي سلاتر. نبض قلبها بصوت عالٍ مزعج. ترى ألم يكن في استطاعته أن يسمع نبضات قلبها هو أيضاً؟

- اذن أنتظرني هنا، سأذهب لاحضر متاعي.

انهى آدج كأسه، وقال وقد ضاقت عيناه:

- حسناً، أنا في انتظارك.

أومأت صوفي برأسها وهرولت خارج الردهة نحو مكتب الاستقبال. كان موظف الاستقبال الهندي قد غادر ورأت مكانه فتاة من جزر الهند الغربية لم تكن رأتها قبلاً. اقتربت صوفي منها وفسّرت لها بأنها ستغادر بعد بضع دقائق. كانت الفتاة مهذبة متفهمة. وافقت على تحضير الفاتورة بينما ذهبت هي لتجلب متاعها.

أحست بأن المصعد استغرق دهراً قبل أن يصل الى الطابق السابع، وعلق مفتاحها في القفل ولم يفتح الباب فوراً. وشعرت كأنها تقضي زمناً طويلاجداً لتجمع اغراضها وتعود الى الردهة ثانية، واندهشت عندما علمت أنّ الامر لم يستغرق أكثر من ربع ساعة.

تركت حقيبتها مع الخادم وعبرت الردهة الى مكتب الاستقبال. ونظرت حولها بسرعة وتأكدت انّ آدج سانت فينسنتي لم يكن في الجوار. عندما ناولتها الموظفة فاتورتها دفعت صوفي المبلغ من دون أن تنظر اليها. ثم قفلت عائدة الى حيث جلس آدج.

كان آدج سانت فينسنتي لا يزال جالساً ولكن هناك امرأة تجلس مكان صوفي. امرأة ذات شعر أحمر تلبس فستاناً مخملياً ذا ألوان صفراء باهتة. اقتربت صوفي منهما بعصبية. لم يلحظ أي منهما وجودها ولم تعلم تماماً اذا كان من اللائق أن تقطع عليهما حديثهما.

كان ظهر المرأة يواجه المدخل خلافاً لآدج. وفي اللحظة التي كانت صوفي تزمع فيها على الابتعاد لمحها فترك فجأة مقعده. ونظر بدهاء الى رفيقته وقال لها:

ـ هذه هي ابنة اختي يا ساندرا، ايف هوليستر. ايف تعالي تعرّفي على صديقة قديمة.

استدارت المرأة ببطء وصوفي تقترب نحوها، وأسندت مرفقها الى الطاولة. كانت أكبر سناً مما ظنّت صوفي في البداية، في الثلاثين من عمرها تقريباً، لكن نضجها زادها جمالاً. ملامحها الكلاسيكية شرقية بعض الشيء. نظرت الى آدج من خلال جفون لوزية الشكل دلت على عراقة اوروبية، وهمست:

ـ لم أعلم أنك خال يا عزيزي.

ـ الم تعلمي؟

قال آدج مبتسماً نصف ابتسامة:

ـ حسناً، يتعلّم المرء شيئاً جديداً كل يوم.

ـ هل يعلم بيرزانّ لديه ابنة عمة؟

ـ أتصوّر انه يعلم مثل أي شخص آخر.

ردّ آدج بلباقة، ثم وكأنه أدرك أنّ صوفي واقفة تستمع الى الحديث ببعض الارتباك قال:

ـ ايف، اسمحي لي أن اقدم السيدة ساندرا مارش. أنا وزوجها شريكان في شركة صغيرة على ساحل الجزيرة الجنوبي.

ـ تشرفنا.

صافحت ساندرا مارش بتردّد. وشعرت بنفور من المرأة من غير أن تدري سببه. واستبعدت أن يكون سبب ذلك النظرات التملكية التي كانت تلقيها على آدج سانت فينسنتي. فأموره الخاصة لم تكن من شأن صوفي. لكنها أحسّت بأنّ المرأة التي تعامل شخصاً بمثل ذلك الود المثير، يجب ان يكون من قبل زوجة تجاه زوجها.

ـ اذن انت ابنة جينيفر!

قالت ساندرا مارش بترفع وأضافت:

ـ وهل سيذبح براندت العجل المسمن على شرفك؟

ـ براندت؟

شعرت صوفي بفراغ في أحاسيسها للحظة ثم تابعت قائلة:

ـ آه تعنين... جدي.

ـ اجل. لا بد أنه لان مع تقدّمه في السن. كان دائماً يقسم بأنه لن يسامح أمك ابداً على ما فعلته.

ـ كفى يا ساندرا.

كانت لهجة آدج جادة، واندهشت صوفي كيف استطاعت كلماته أن تحطّم ثقة ساندرا.

ـ والان، عليك أن تعذرينا. علينا الذهاب.

وضعت ساندرا أناملها الطويلة على كتفه وناشدته:

ـ آه يا عزيزي آدج. بالتأكيد يمكنك البقاء في البلدة لتناول العشاء.

ـ متأسف لا استطيع.

وتحرّك آدج بعيداً فهوت يدها الى جانبها.

ـ لكني لم أرك منذ أمد بعيد!

ـ أعتذر يا ساندرا.

ضغطت ساندرا على شفتيها ونظرت ببرود نحو صوفي.

ـ ألست محظوظة أنك ابنة اخته فحسب؟

سألتها بسخرية مكشوفة تقريباً وتابعت:

ـ انه ثور مع النساء، ألست كذلك يا عزيزي؟

تجاهلها آدج ونظر متفرساً في صوفي:

ـ هل أنت جاهزة؟

أومأت صوفي.

ـ نعم. حقيبتي في الردهة مع أحد الخدم.

تحدّثت بسرعة وأرادت أن تبتعد، فقد شعرت بذل المرأة الاخرى وكادت أن تشفق عليها.

ـ حسناً. اسبقيني وسأكون معك بعد لحظة.

سمعت صوفي وهي تسير نحو الباب، توسلات ساندرا التي قاربت البكاء ورفض آدج القاسي، واذا به قربها، يمشي بلا اكتراث نحو الردهة وعندما نظرت اليه بدا غير متأثر بما حدث وارتعدت. لو خاطبها أي رجل مثلما خاطب آدج ساندرا مارش لتمنت أن تختفي وتموت. ولكن ساندرا متزوجة. ألم يعنها زوجها في شيء؟

حمل الخادم حقائب صوفي الى حيث توقفت سيارة آدج، ورأته يناوله خمسة دولارات. وتساءلت اذا كان هذا واجبها لكنّ انشغالها بأمور أخرى انساها الامر.

كانت الشمس قد غابت وبرودة المساء بدأت تحمل دفئاً مخملياً. حتى ازدحام السيارات في الطريق خفّ بعض الشيء. مع أنّ تجمع الناس في متاجر الجواهر الصينية والحرائر الهندية ومتاجر الفضيات والمحفورات الخشبية استرعى انتباهها.

كانت سيارة ادج مرسيدس ضخمة بدت فارهة رغم الغبار الذي كساها. فتح باب السيارة ورمى حقيبتها على المقعد الخلفي ثم اشار اليها لتدخل.

أغلق آدج الباب ثم سار حول السيارة ليجلس الى جانبها. وضع يده على سقف السيارة وجلس بحركة فيها لين وخفة. ووضع المفتاح في مكانه.

ثم قال لها قبل أن يدير المحرك.

ـ لست مضطرة الى أن تتصرفي وكأني وحش. فانا أؤكد لك بأنّ ساندرا قادرة تماماً على الاعتناء بنفسها.

تخضّبت وجنتا صوفي وقالت:

ـ لا ادري عمّا تتكلم!

ـ آه اجل، تعلمين.

وأصلح من وضع ثيابه وتابع:

ـ لديّ بعض المعرفة عن بنات جنسك وأنا مدرك تماماً أنك تشعرين ببعض العطف تجاهها.

ـ لا شأن لي بالامر.

ـ أنا اوافق. ولكن وفري عطفك لشخص يستحقه.

ثم أدار المحرك وقاد السيارة بمهارة الى الشارع العام.

أخذت صوفي تسمع صوت موسيقى متناغمة من مكان قريب، وجعلها الصوت النابض تشعر بفورة تزقب فجائية غير ارادية تمتد عبر جسمها. كان صوت قرع الطبول بدائياً واخترق وعيها برعشة، محدثاً رغبة في التمايل مع الموسيقى. كانت معتادة على الموسيقى الحديثة في الوطن، لكن هذا كان مختلفاً. نظرت الى آدج سانت فينسنتي ولكنه بدا غير متأثر بالاصوات التي سمعاها بوضوح ولا تمثل حدثاً بالنسبة اليه. ولكنها كانت جديدة ومثيرة بالنسبة الى صوفي ونسيت لفترة أنها دخيلة وتنهدت باستمتاع، تنبه آدج الى صوتها، وسألها:

ـ هل أنت متعبة؟

هزّت صوفي رأسها وقالت:

ـ كلا، أليست الموسيقى رائعة؟

زمّ آدج شفتيه قليلاً.

ـ اتساءل اذا كنت ستقولين الشيء نفسه بعد بضعة أسابيع.

ـ لماذا؟

ـ ثلاثة أسابيع ويحل عيد الكرنفال،ستسمعين هذه الموسيقى الى درجة تتمنين معها لو أنهم لم يخترعوها.

علّق ادج ثم أردف:
ـ افهم أنك تحبّين هذا النوع من الموسيقى.
ـ احب الموسيقى على أنواعها.
اجابته صوفي وسألته ثانية:
ـ وانت؟
هزّ آدج كتفيه وأجاب:
ـ لا أشك في أنك ستتفقين مع ابني أكثر في هذا المجال.
قال لها بشيء من التهكم. وجمدت صوفي. ابنه! لم تذكر ايف ابن آدج! ثم تذكّرت، عرضياً، شيئا قالته ساندرا مارش ولم يترك أثراً عليها حينها. كانت قد سألت اذا كان بيرز يعلم أنّ لديه ابنه عمة! طبعاً. كان عليها أن تفهم. اذا كان ابن خال ايف فهو حتماً ابن آدج.
بلعت ريقها بصعوبة وقالت:
ـ بيرز؟
نظر آدج ناحيتها برهة وقال:
ـ نعم. كم عمرك؟
ـ انا... انا في الخامسة والعشرين.
شعرت بالعرق يتصبّب على جبينها. كادت تقول اثنتين وعشرين.
وردّد آدج وهو يهز رأسه:
ـ في الخامسة والعشرين! تبدين أصغر سناً من ذلك.
ـ شكراً على الاطراء.
حاولت أن تبدو خفيفة لكنّها فشلت.
ـ كم... كم عمر بيرز؟
ـ الم يخبرك والدي؟
ـ ربما... ربما فعل ولكن... لكني نسيت.
ـ انه في السابعة عشرة.
احنت صوفي رأسها! أصغر منها بخمس سنوات فقط. اذن ما هو سن خال ايف هذا؟ ولماذا هي تهتم لهذا في أي حال؟
انحرف آدج بالسيارة وابتعد عن أضواء الشوارع الرئيسية متجهاً نحو

ضاحية معتمة، وبدت أشجار النخيل خلّابة وضوء السيارة ينعكس عليها. كانا يتسلّقان تلالاً خارج البلدة والتفتت صوفي فرأت دنيا خلابة الاضواء ممتدّة دونها. وشعرت بوخزة خوف مزعجة. ففي المدينة كانت تشعر أنّها لا تزال تتحكّم بمصيرها بطريقة ما، اذ كانت قادرة على الهرب الى انكلترا والتخلّي عن مهمتها اذا اتّضح لها أنها مستعصية. لكنها الآن أصبحت هنا مرتبطة بالدور الذي وافقت على القيام به، وعلمت غريزياً بأنّ آدج سانت فينسنتي لن يخفي أي شكوك تراوده في ما يختصّ بها. لم يكن من نوع الرجال الذين يمكن أن تلهو معهم، واذا ما اكتشفت أنّها كانت تخدعهم...
كان النسيم البارد الذي اندفع عبر نافذة السيارة المفتوحة مفعماً بملوحة البحر. واستنتجت صوفي أنهما قريبان من البحر ولكنها لم تستطع أن تميّز شيئاً عدا لمعان ضوء القمر الباهت. ورغم صعوبات وضعها، شعرت برغبة في رؤية الساحل في النهار. كان كل ما رأته في الجزيرة تقريباً مليئاً بالحياة واللون والحيوية، واقتنعت بأنّ الشواطىء المرجانية والموج الاخضر لن تكون أقل اثارة. فقط لو أمكنها التفكير في تلك الاشياء وعدم القلق...
طال الصمت بينهما وشعرت صوفي بوجوب القيام بجهد لتكسره، محاولة أن تظهر عادية، فقالت له:
ـ اخبرني عن بوانتي سانت فينسنتي. هل... هل هو اسم منزل والدك؟
وانتبهت متأخّرة الى أنه كان عليها أن تقول منزل جدي، لكنّها لم تستطع تغيير ما قالته. لكن بدا أن آدج لم يلاحظ هفوتها واجابها:
ـ كلا، بوانتي سانت فينسنتي هو اسم المنطقة حيث يوجد المنزل. أما المنزل فلا اسم له، عدا أنه معروف محلياً كمنزل عائلة فينسنتي.
ـ يبدو ذلك رائعا!
ـ هكذا؟
وزمّ آدج شفتيه:
ـ ظننت أنه لن يروق لك.

- لماذا؟

- حتما السبب واضح. علمت بوجودنا منذ عشرين عاماً لكنك لم تقومي بأيّ جهد للاتصال بنا.

تورّدت وجنتا صوفي وأجابت بتلعثم:

- انا... أنا فهمت أن ... أنّ جدّي رفض التعامل مع والدي.

- هكذا. لكنه كان سيرحب بكلمة منك. فأنت حفيدته في أي حال. الوجه البريء في القضية.

تململت صوفي بارتباك.

- انا... نحن لم نتحدّث في الامر مطلقاً.

- ألم تفعلا؟

احكم آدج يديه على مقود السيارة عند منعطف حاد.

- ارى الامر صعب التصديق.

- أنت لا تفهم ما حدث.

تحمّست صوفي وهي تتكلم. فهي سمعت رواية ايف للقصة وكان في امكانها أن تتفهّم معضلتها.

- والدي لم يتقبل موت والدتي أبداً. فقد احبّها كثيراً جداً. ولم يستطع أن ينسى انني كنت السبب المباشر في وفاتها. أنا... أنا لا أقول أنه لامني، لكنني كنت أذكّره بها دائماً، حسناً، ألا تستطيع أن تفهم؟ لم يكن في استطاعتي الاتصال بجدّي في تلك الظروف. فالامر كان سيبدو نوعاً من التخلي.

فكر آدج في الامر وقال.

- استطيع ان أفهم ما تحاولين قوله، لكنني لا أقول أنني اوافق عليه.

- في الواقع انّ... انّ جدّي لم يكن متفرجا بريئا في هذه القضية، أم هو كذلك؟ اعني انه كان مسؤولا عن هذا الانفصال في البداية.

- ربما كذلك. اذكر أنه كان ممزّق الفكر. جينيفر كانت دائماً بؤبؤ عينه، وكانت صدمة عظيمة له عندما اختارت أن تتجاهل كل شيء فعله لأجلها أو ما قد يفعله... من أجل مهندس مفلس!

- هو... اعني والدي لم يكن مفلساً!

- بالنسبة الى ثراء والدي كان كذلك.

- اعتقد أنه اراد لها أن تتزوج لمصلحة؟

- اذا قصدت بكلمة مصلحة، شخصاً مناسباً أكثر، أجل. كلمة مصلحة لها معان اخرى.

قاطعته صوفي من دون أن تقدر على التحكّم بنفسها:

- وهي ايضاً تعني زواجاً يعتمد الواقع اكثر من اعتماده المبدأ!

- كان في امكان هوارد فليمنغ ان يسعدها.

- كيف يمكنك ان تقول ذلك؟

انزعجت صوفي من برودة نبرته.

- الواضح أنها لم تحب هوارد فليمنغ هذا، والاّ لما هربت مع جيمس هوليستر!

ضاقت عينا آدج فتأملت صوفي رموشه السوداء الطويلة وهو ينظر اليها.

جيمس هوليستر؟

ردّد بعدها وأضاف:

- هذه طريقة غريبة للتحدّث عن والدك.

علمت صوفي أنّ عليها تمويه الامر فقالت متحدية:

- لماذا؟ اسم والدي كان جيمس هوليستر، أليس كذلك!

حوّل آدج انتباهه الى المنعطفات الخطرة في الطريق.

- اذا اصرّيت على ذلك.

علّق بهدوء، وتساءلت صوفي ببعض اليأس هل يخيل اليها أنها تسمع نبرة عدم التصديق في صوته. بالتأكيد كان يصدّق أنها من ادعت شخصها، والاّ لما أتى بها الى هذا المكان؟

ثم سألت لتغيّر الموضوع تماماً:

- كم تبعد بوانتي سانت فينسنتي بعد؟

نظر آدج الى ساعته الذهبية واجاب:

- ربع ساعة اخرى.

وارتخت صوفي أكثر في مقعدها. قريباً سيصلان وكان عليها تحضير نفسها للامر الواقع الذي ستعيشه مضطرة.

عند وصولهما الى الطريق المؤدية الى المنزل كان القمر قد أطل. واستطاعت صوفي أن ترى في نوره الخافت المنحدرات المشجرة التي تؤدي الى مرفأ طبيعي تحت المنزل حيث تلعب ظلال البيوت العائمة على صفحة الماء. لكنّ المنزل ذاته هو الذي عقد لسانها فقد أضفت الحدائق المضاءة لوناً غريباً على واجهته البيضاء. كان منزلاً من طابقين وبدا ملتحماً مع التلّة نفسها وأحاطت زهور مختلفة الألوان بالدرج المؤدي الى موقف السيارات وامتدّت أقسام البيت المختلفة بارتياح في الاتجاهات دونما أي اعتبار للتصميم او التوازن. لكنه مع ذلك بدا أحد اجمل المنازل التي رأتها.

أوقف آدج المرسيدس في الفناء المعبّد بجانب البيت، وسمعت صوفي وهي تفتح بابها وتخرج من السيارة صوت أمواج المحيط تتلاطم على الصخور دونها. وظنّت أنه من السهل جداً على المرء أن يزهو بنفسه في مثل هذا المحيط لكن آدج سانت فينسنتي بدا غير آبه للامر.

خرج من السيارة، وفيما كان يجلب حقيبتها من المقعد الخلفي هرع شخص ما نحوهما. وعندما قرب الوافد الجديد، رأت صوفي أنه خادم أسود البشرة يرتدي سروالاً أسود وسترة بيضاء أنيقة، وابتسم لآدج ابتسامة سهلة مألوفة.

ـ والدك قلق عليك يا سيد آدج.

قال له وهو يأخذ الحقيبة من يد سيده بخفة. ثم نظر ناحية صوفي.

ـ هل هذه ابنة الانسة جينيفر؟

زمّت شفتا آدج:

ـ هذا صحيح يا جوزف. هذه هي الانسة ايف هوليستر.

اومأ جوزف بحرارة ناحية ايف:

ـ ان السيد براندت سيكون سعيداً جداً برؤيتك يا آنسة ايف. لم تأت أية صبية الى منزل سانت فينسنتي منذ فترة طويلة!

نظرت صوفي الى آدج الذي وقف الى جانبها بعدم اكتراث وعقد أصابعه الى حزام سرواله وهو ينظر الى جوزف باستكانة كسولة. وفكرت أنّ رشاقته ظاهرة في كل ما فعله. فهو يتحرك بسهولة، أو بكسل. لكنها تستطيع أن تشعر بالقوة الخفية التي تكمن فيه، القوة الحسّية. كانت هذه

هي الصفة التي أزعجتها فيه، كانت تشعر بوجوده وأزعجها ذلك الى درجة ما.

انتبه جوزف الى أنه كان يؤخرهما وتراجع كي يسمح لآدج بأن يأخذ صوفي عبر الدرجات الى المنزل. استطاعت أن تسمع صرير الصرصار المستمر فوق سطح البحر، وكان عليها كبت شعور الاثارة الشديدة الذي كان يعتمل في داخلها ويضغط على صدرها.

وقفت على مدخل المنزل عندما وصلا نهاية الدرج، اصطدم آدج بها وللحظة أمسكت ذراعه واعتذر منها.

ـ كانت غلطتي أنا.

قالت صوفي بعصبية غير مبررة اذ أنها شعرت بقربه منها.

قادها آدج عبر باب مشبّك الى قاعة باردة. وبدت القاعة كأنها تمتد من أول المنزل الى آخره وتتفرع منها ممرات عدة، وسلم لولبي يؤدي الى الطابق العلوي. ورأت اناء مليئاً بالازهار الرائعة على قاعدة طويلة برزت الازهار منها على نحو غريب. وأنار القاعة مصباح ذو قاعدة نحاس له اطار مزدان برسوم صينية.

نظرت صوفي حولها ببعض الاندهاش. كان هناك الكثير من اللون والجمال لتنظر اليه، ولكن آدج حثّها على السير وأخذها عبر القاعة وصعد بها بضع درجات ووقف أمام باب أزرق اللون.

ـ هذه مكتبة والدي.

قال لها مفسراً ثم فتح الباب.

دخلت صوفي الى غرفة مؤثثة بطريقة توحي الراحة، أرضها مفروشة بسجاد من جلود الحيوانات وهيمنت طاولة على المنطقة الرئيسية منها. وجدرانها مليئة بكتب جلدية مرصوفة وخزائن فيها ملفات وأريكة، وطاولة صغيرة عليها آلة طابعة وسلّتان للاوراق. كان واضحاً أنّ براندت سانت فينسنتي يدير شؤون المزرعة من هنا. ثم نهض رجل من خلف الطاولة يحييّها: واختفت الغرفة عندما ركزت انتباهها على الرجل.

لم يكن براندت سانت فينسنتي يشبه ما تصورته أبداً. فبعد ما توسلت ايف ذهابها الى ترينيداد من أجل التخفيف عن رجل عجوز كانت صوفي

تتوقع أن تجد رجلاً في السبعين من عمره، ضعيفاً ومعتلاً، يعيش كل يوم من دون أن يعرف حقيقة، ما اذا كان سيعيش اليوم التالي.

كان الرجل الماثل امامها مختلفاً تماماً. ومثل ابنه، بدا أصغر من عمره بسنوات، وقدرت أنه في أوائل الستينات. اضافة الى ذلك كان رجلا في أوج نشاطه، طويلاً ومليئا بالحيوية وأضخم من ابنه لكنه يشبهه جداً. شعر كثيف بدأ يغزوه الشيب وملامح قوية مليحة.

نهض يرحب بها وتقدم منها فارداً ذراعيه. وضعت يديها في يديه بصورة آلية غير قادرة على نكران الترحيب الذي أبداه نحوها وهتف وهو يهز رأسه.

ـ اذن أنت ايف ابنة جينيفر، أكاد لا أصدّق!

ـ لماذا؟

سألته همساً لكنها لم تستطع التفكير بأي شيء آخر تقوله.

ضغط براندت على يديها وقال بانفعال:

ـ لقد انقضى زمن طويل. ثم استعاد اتزانه وتابع:

ـ أفترض أنكِ لا تعرفين الكثير عن والدتك.

ـ لا أعرف الكثير عنها.

اعترفت صوفي بعصبية

ـ انها... نادراً ما تحدّث والدي عنها. كان... كان الامر يؤلمه.

تبدلت ملامح براندت عند ذكر جيمس هوليستر. ضغط على شفتيه واختفى الدفء من عينيه البنيتين، وقال:

ـ اعتقد أنه من الافضل أن ننسى الماضي وننظر الى الحاضر. ألا توافقين؟ أعني من الواضح أنّ التحدث في بعض الاشياء سوف يكون مؤلماً لكلينا. ولا فائدة من استذكار الأحزان الماضية. وصدقيني كلانا تألم بما فيه الكفاية. لذا أقترح أن نبدأ من جديد. أن ننصرف الى بعضنا من دون التأثيرات المشوّهة التي خلقها أناس آخرون منذ مدة بعيدة.

اومأت صوفي موافقة ببطء وهمست:

ـ انا... أنا مستعدة.

ثم نظرت الى يديها في يديه.

ـ حسناً، حسناً.

ورقّ تعبير براندت ثانية.

ـ لا يمكنك أن تعلمي كم أسعدتني. لقد انتظرت مجيئك الى هنا ومقابلتك بنفاد الصبر. نحن عائلتك الآن وهذا هو مكانك آه، أنا أعلم أنّ لديك عملك، لكن بالتأكيد يجب أن تأتي العائلة في المقام الأول قبل أي شيء آخر!

حدّقت فيه صوفي. لم تعلم تماماً كيف تجيبه. وهتف قائلا:

ـ استريحي! لا تضطربي. سيكون وجود امرأة شابة في البيت مرة اخرى رائعاً.

نظرت صوفي وراءها. كان آدج يقف بصمت قرب الباب يراقبها وابتسامة كسولة على شفتيه بينما كانا يتحدثان. ثم اقترب منهما وقال:

ـ جوزف قال الشيء نفسه. لو علمت أنكما متشوقان لوجود امرأة...

اختفى صوته عرضياً ونظر براندت بنفاد صبر الى ابنه وقال:

ـ لا تكن متهكماً يا آدج. اذا كنت استقبلت ابنة اختك على هذا النحو فانا لا أستغرب أن تكون مضطربة!

نظر آدج الى صوفي وقال:

ـ حسناً، ربما لسنا ما توقعت هي أيضاً.

صاح براندت:

ـ ماذا تقصد؟

هزّ آدج كتفيه:

ـ آه لا شيء.

ثم حوّل نظره بعيداً عن صوفي وأخرج علبة سيكار من جيبه.

ـ أظنّ اني سأذهب وأبدّل ثيابي للعشاء. أشعر ببعض التعب.

وبرقت عيناه ناحية صوفي ثانية، ثم تابع:

ـ ربما ترغب ابنة اختي في أخذ حمام وابدال ملابسها أيضاً.

أفلت براندت يدي صوفي معتذراً واتجه نحو المدفأة وهتف:

ـ طبعاً، طبعاً. فإثارة مقابلتك أنستني أصول الضيافة، طبعاً لا بد أنك تعبة ومتعبة. سوف تريك فيوليت غرفتك ثم نتعشى بعدها. ونظر الى

www.elromancia.com

ساعته، بعد نصف ساعة؟ أتعتقدين ذلك وقتاً كافياً لتكوني جاهزة؟

ـ طبعاً.

وشبكت صوفي يديها وأردفت:

ـ انا... أنا أريد أن أقول بأنني سعيدة جداً لكوني هنا.

سار آدج والسيكار في فمه ناحية الباب:

ـ آه أجدت القول.

قال بمكر وشدّت صوفي قبضتها:

ـ تجاهلي خالك.

نصحها براندت ونظر الى ابنه موبخاً:

ـ ان سلوك آدج متهكم.

فتح آدج الباب وأسند نفسه اليه لبرهة ثم علق بكسل:

ـ أنت دائماً تقول بأننا متشابهان في كثير من الامور يا براندت.

ثم اغلق الباب خلفه.

بدت الغرفة خاوية بعد ذهابه ونظرت صوفي بارتباك الى جد ايف، وهمست:

ـ لديك منزل جميل. أنا متشوّقة الى رؤيته في النهار.

ـ آه فعلا.

بدا براندت مسترخياً ثانية واقترب منها وهو يبتسم:

ـ انا متأكد بأنك ستكونين سعيدة هنا يا ايف. فأنا أنوي أن أجعل اقامتك ممتعة الى درجة لن ترغبي معها في مفارقتنا ثانية. لدينا الكثير هنا ليستأثر باهتمامك. السباحة والابحار والغطس. اذا كنت مغامرة بما فيه الكفاية فآدج وبيرز يعلمانك. انهما يقضيان ساعات طويلة على متن المركب. طبعاً، الجزيرة نفسها جنة حقيقية لمحبي الطبيعة. لدينا فصائل متنوعة كثيرة من الطيور يجب أن نأخذك الى غابة العصافير في كاروني، وتنهد مضيفاً، اترين يا عزيزتي، منذ الآن أنظر الى الاسابيع المقبلة باكتفاء عظيم.

انقذ قرع الباب صوفي من الاجابة على هذه الخطبة الصغيرة. وسأل براندت من الطارق فدخلت خادمة سوداء وابتسم لها.

ـ آه فيوليت.

خاطبها ووضع ذراعه حول صوفي.

ـ يا عزيزتي ايف، اسمحي لي أن اقدم اليك كنزنا فيوليت.

فضحكت المرأة السوداء وتابع قائلا:

ـ انها تدخل الراحة في كل حياتنا من دون أن نقدّر لها ذلك حقا، أليس كذلك يا فيوليت؟

ـ اذا قلت ذلك يا سيد براندت.

وتحوّلت عينا فيوليت الداكنتان صوب الفتاة:

ـ كيف حالك يا آنسة ايف؟ انني مسرورة للقائك.

ـ مرحباً فيوليت.

قالت صوفي مبتسمة.

ـ هل لك أن تأخذي ايف الى غرفتها؟

قال براندت ودفع صوفي برفق الى الامام وأضاف:

ـ ثم نتناول عشاءنا بعد نصف ساعة.

ـ نعم يا سيدي براندت.

تراجعت فيوليت الى الممر خلفها.

ـ هل لك أن تتبعيني يا آنسة؟

بعد أن ابتسم جدّ ايف مرة اخرى مشجعاً، ذهبت صوفي مع فيوليت عبر الممر الى القاعة.

سارتا باتجاه الدرج وبدأتا تصعدانه عندما دخل شاب عبر الباب المشبك ورآها. كان طويل القامة نحيلاً، وأبرز سرواله الضيق وقميصه القطني جسمه النحيل. ونظر مندهشاً عندما رآهما وانتقل نظره الى صوفي كما فعل آدج. واستنتجت صوفي أنّ هذا هو بيرز لكنه لم يكن أسمر كوالده انما شعره مسترسل وملامحه الكسولة جذابة وأقل عدوانية من ملامح والده.

ـ أهلاً، أهلاً.

قال وهو يقترب من أسفل الدرج:

ـ لا بد أنك ايف، هل أنا مصيب؟

لاحظت صوفي أنّ فيوليت وقفت تنتظر منها أن تجيب بيرز، فاومأت

قائلة:

ـ نعم. انا ايف. وانت بيرز بالطبع.

ـ أحظى بهذا الامتياز المشكوك فيه.

أجابها بيرز ضاحكاً وأكمل:

ـ الن تهبطي لتسلّمي على ابن خالك المفقود؟

انحنت فيوليت على السور وقالت:

ـ السيد براندت قال إنّ العشاء سيكون بعد نصف ساعة يا سيد بيرز والانسة ايف تحتاج الى ذلك الوقت لتغتسل وتحضر نفسها.

كشر بيرز وقال باستهزاء:

ـ عشاء عائلي، هل قابلت عائلتنا يا ايف؟

تردّدت صوفي قبل أن تجيب:

ـ الجميع باستثناء عمة امي روزاليند على ما أعتقد.

ـ روزا!

قال بيرز وزمّ شفتيه، ثم تابع:

ـ آه حسناً، انها الوجبة الأخيرة لك.

ـ سيد بيرز.

قالت فيوليت موبخة:

ـ اعلم، أعلم انه يجب ألّا اتكلم مع كبار السن بقلة احترام، لكن لا تتأثري كثيراً بما أقوله يا ايف.

وفرت نظرة فيوليت المعبّرة الاجابة على صوفي، عندما تابعت الخادمة صعودها السلم، تبعتها صوفي من دون أن تنظر الى الوراء.

لكنها ابتسمت. فقد أحبت بيرز. كان لطيفاً وغير معقد. وظنّت ان في امكانها أن تفهمه. لكنها لن تفهم والده ابداً، حتى بعد مليون سنة...

٣ - حفيدة... لكنها غريبة

كانت غرفة صوفي تقع على الجهة المستديرة من المنزل، وعندما خرجت الى الشرفة في الصباح التالي كاد نفسها ان ينقطع بسبب جمال المنظر الذي فاجأها.

تحت الدرجات المسطحة المؤدية الى الفناء المعبد والتي تسلقتها مع آدج الليلة السابقة، انحدرت الحديقة الكثيفة الاخضرار لتختفي عند حافة هوت بحدة الى البحر. وبما انها علمت بوجود بيوت عائمة في الاسفل استنتجت انه يوجد سبيل للنزول الى الصخور في الاسفل. والبحر نفسه كان خلاباً ازرق ساحراً تتلألأ صفحة مياهه وتلمع في اشعة الشمس الساطعة. صار الطقس دافئاً جداً وتمنت صوفي التي لم تنم جيداً ان تخلع ثيابها وتغطس في تلك الاعماق التي دفأتها الشمس.

www.elromancia.com

لكنها لم تكن تعرف عادات المنزل بعد. ومع انها تمنت اكتشاف ما حولها لكن يجب ان تنتظر من يدعوها الى ذلك. وهكذا اكتفت بالاستحمام في الحمام الرائع الملاصق لغرفتها وفكرت جدياً بالوضع الصعب الذي زجتها فيه ايف.

اصبح واضحاً اكثر فأكثر ان اسباب اخفاء ايف اعمار اقاربها الحقيقية عنها كان خطة متعمدة، فهي لا بد علمت ان صوفي لم تكن لتوافق على الحضور لو لم تستطع ان تستثير الجانب العاطفي من طبيعة صوفي. واوشكت هذه ان تغضب جداً لكنها لم تستطع انكار موجة الاثارة الصافية التي غمرتها عندما فكرت في الاسابيع المقبلة.

في اي حال، فكرت وهي تعود الى واقعها ان وضعها لن يكون سهلاً ابداً ولم تفهم لماذا اختارت ايف ان تتظاهر بان جدها لم يكن يعلم مهنتها بينما الحقيقة هي عكس ذلك. الا اذا كانت تخيلت لسبب وجيه ان صوفي سترى في الأمر سبباً اخر لعدم المخاطرة في المجيء. في اي حال، فمدى معرفتها لهذا الجانب من شخصية ايف كان ضئيلاً جداً.

لكنها رفضت ان تقلق الآن. كان هذا يومها الأول في ترينيداد وقررت ان تستمتع به ما استطاعت.

لفت منشفة كبيرة حول جسمها الرشيق وعادت الى غرفة نومها. بينما كانت تتناول طعام العشاء في الليلة السابقة كانت ثيابها قد علقت في الخزائن الطويلة. وفتحت باب احدى الخزائن ونظرت في داخلها بامعان.

كانت قد جلبت معها الكثير من الملابس الصيفية وبعض السراويل والقمصان ورداء خاصاً بالسهرات واختارت ان ترتدي تنورة قصيرة بيضاء ذات ثنايا مطرزة بحاشية زرقاء وبلوزة قطنية زرقاء جعلت بشرتها تبدو شاحبة قليلاً. وفكرت بانها ستبدل كثيراً من الثياب اذا ما قدر لها البقاء لفترة كافية في هذا المكان.

وفيما هي تفكر في البقاء في المكان تذكرت عشاء الأمس. كانت امسية غير حقيقية اذ جلس آدج المتهكم الى رأس المائدة الطويلة وابوه في الطرف المقابل. كانت المائدة مغطاة بلوح من الزجاج والشمعدانات وسيلة الانارة الوحيدة. فكرت صوفي ان الضوء الخافت وتخيلاتها جعلتها تشعر بأن نظرة

آدج كانت شيطانية كلما نظر نحوها.

كان براندت لطيفاً وقدمها الى شقيقته روزاليند بفخر ظاهر. لكن صوفي لم تشعر بالاطمئنان معه هو الآخر. فهي كانت تخدعه. كانت دخيلة. ولا شيء يغير ذلك.

لكنها فهمت ما قاله بيرز عن عمته. لا بد انها كانت جميلة يوماً ما، الا انها الآن اصبحت خيالاً عما كانته في الامس، فبدت كانها لا تزال تعيش الماضي، عصبية وشاردة الذهن وبدت اكبر سناً من اخيها القوي وفكرت صوفي انه ربما كانت والدة ايف محقة عندما هربت وهي قادرة، لكنها انبت نفسها للتفكير بمثل تلك الطريقة. ومن يدري ربما اثر رجال هذه العائلة على نسائهم، وعرفت جينيفر ذلك مثل اي شخص آخر.

وبدا لصوفي انها لا تستطيع ان تكون طبيعية الا مع بيرز فهو يتحدث معها بشكل طبيعي، سألها اسئلة عن لندن استطاعت الاجابة عنها بصدق ومن دون انكماش. غير انها كانت تشعر دائماً بابيه وهو يراقبهما وسرت عندما انصرف آدج بعد العشاء. لم يسأله احد عن وجهته وهو لم يقل شيئاً، لكن الجو اختلف بشكل واضح بعد انصرافه. كانت تصفف شعرها عندما سمعت اصواتاً وشخصاً ما يصفر في الباحة. فوضعت فرشاتها جانباً وعبرت الغرفة بسرعة ونظرت خلسة من الشرفة. لم يكن هناك داع الى القلق. كان هناك آدج وبيرز والخادم منهمكين الى درجة لم يلتفتوا معها صوب الشرفة في الطابق الأول. كانوا يعبرون الباحة معاً ويحملون الاقنعة واسطوانات الاوكسيجين. لم تستطع صوفي الا ان تحسدهم. فهذا ما ارادت ان تفعله تماماً. كانت متأكدة من ان المياه حول بوانتي سانت فنسنتي مليئة بالاسماك والحياة البحرية. اختفى الرجال عبر ممر لم تلاحظه صوفي سابقاً لكنها انتبهت الآن الى انه يؤدي الى حافة الصخور. واغلب الظن انه يؤدي الى الدرجات المفضية الى الخليج. وتساءلت وهي تدخل غرفتها عن سبب شعورها بالكآبة فجأة. كان يفترض بها ان تشعر بالراحة بسبب غياب آدج وبيرز لكن الواقع كان مخالفاً. ربما سبب ذلك انها تطلعت الى رؤية بيرز ثانية وبدا لها ان املها سيخيب.

كانت الساعة جاوزت الثامنة عندما غادرت غرفتها ونزلت الى القاعة

وهناك التقت احدى الخادمات وسألتها اين يفترض بها تناول طعام الافطار.

كانت الفتاة تنظر اليها باستغراب وايقنت صوفي ان موقفها لم يكن اعتيادياً لكنها لم تكن معتادة على اصدار الأوامر.

ولحسن حظها ظهرت فيوليت في تلك اللحظة وبدا الاهتمام عليها حين رأت وقوف الخادمة الاخرى وسألت بحدة:

- ما الخطب يا آنسة ايف؟ هل تحاملت عليك هذه الفتاة؟ ليزا اذهبي الى المطبخ، سأراك في ما بعد.

- لم يحدث سوء يا فيوليت. ببساطة انا لا افهم اين اتناول الفطور.

- آه...

اومأت فيوليت، لكن اشارة من اصبعها جعلت الفتاة ليزا تهرع نحو المطبخ. وهزت برأسها وهي تخاطب صوفي:

- انت جائعة، اليس كذلك؟

- قليلاً.

- حسناً، حسناً. تعالي من هنا.

ارشدتها فيوليت الى غرفة مشمسة على يمين القاعة تطل على باحة مع منظر الحديقة الغنية امام المنزل وكانت هذه الغرفة صغيرة بالنسبة الى مكتب براندت والقاعة التي جلسوا فيها بعد العشاء ليلة امس. فيها طاولة مستديرة مغطاة بالزجاج قرب الابواب الفرنسية الطويلة وخزائن طويلة مليئة بالصحون والأكواب.

- اذهبي واجلسي على الشرفة وسأجلب ترويقتك خلال ٥ دقائق. هذه الغرفة الصباحية..يتناول السيد براندت طعام الغداء هنا عادة، كما ستكتشفين بنفسك من دون شك.

- شكراً يا فيوليت، اتمنى الا اكون مصدر ازعاج.

بان الدفء في عيني فيوليت.

- بحق السماء لا يا آنسة ايف، ان وجودك هنا متعة. لقد اعتنيت بوالدتك فور ولادتها وكنت دائماً انظر الى اليوم الذي سأعتني فيه بطفلتها هي ايضاً.

وتابعت بشيء من الحزن:

- وكأنما سأجد الاعتناء بابنتها متعباً. يا آنسة!

شعرت صوفي بالكدر. لماذا قالت فيوليت كل هذا؟ كانت تشعر بالارتياح حتى اللحظة لكنها الآن اخذت تشعر بخداعها مرة اخرى. وسارت بسرعة نحو النافذة وغيرت الحديث فجأة:

- اليس المنظر خلاباً؟ لا اظن اني رأيت اجمل منه ابداً.

جمدت فيوليت وقالت بثبات:

- علي الاهتمام بفطورك يا آنسة.

ثم غادرت الغرفة.

استدارت صوفي وشعرت بكآبة شديدة تغمرها. كانت تتمنى اكثر واكثر لو انها لم تسمح لايف بالالحاح عليها في المجيء الى هذا المكان. واختفت حماستها في خضم احداث النهار. لكن عليها ان تستمر الآن، وكلما اسرعت في التوقف عن توبيخ نفسها كان افضل لها. كان عليها ان تتصور انها تلعب دور ايف هوليستر، ويجب الا تسمح لمشاعرها الشخصية بان تتدخل ابداً.

استمتعت صوفي بالفطور الانكليزي الذي احضرته فيوليت. كانت تحتسي ثالث فنجان قهوة عندما فتح الباب وظهر جد ايف.

- صباح الخير يا ايف.

قال لها بحرارة ظاهرة وسار نحوها وشد على يدها بمودة.

- جميل ان اراك هنا الى طاولتي. هذا مكانك. والآن اخبريني. كيف كان نومك؟.

- جيداً جداً... شكراً لك يا ... جدي؟

- تجدين صعوبة في قول تلك الكلمة، اليس كذلك؟

وعندما لم يبدر منها اي رد فعل، تابع حديثه:

- جدي! تجدين صعوبة في التفكير بأنني جدك؟

لم تعلم صوفي بماذا تجيب.

- آه... ليس بالفعل.

لكنه لم يقتنع.

- اعتقد ذلك. ولكن يمكنك مناداتي براندت كما يفعل بيرز. هل يناسبك ذلك؟

حدقت فيه صوفي:

- انا... اذا لم يكن لديك مانع.

همست بارتباك وتساءلت عما كانت ستقول ايف لو هي في وضع مشابه.

- حسناً، حسناً.

بدا براندت مكتفياً واردف:

- ربما سنجد طريقة تخاطب اقرب مع الوقت ولكن هذا يكفي الآن.

ابتسمت صوفي. وتابع حديثه:

- هل انهيت فطورك؟

اومأت برأسها.

- أجل كان شهياً. استطيع من الآن ان اتخيل كيف ساصبح بدينة خلال اقامتي هنا.

- اذن ما رأيك في القيام بجولة في املاكي، هذا اذا كنت مهتمة.

- الاملاك.

رددت صوفي بنعومة ونهضت.

- آه نعم، اود ذلك. لكن، الا تريد تناول طعام الفطور؟

- اتناول فطوري في السابعة والنصف صباحاً في غرفتي.

اخبرها براندت وهو يضع يديه في جيبي سترته. وفكرت صوفي كم تطابقت كلماته وصورتها عنه. كان رجلاً قوياً مهيمناً، انضباطياً مع نفسه ومع الآخرين، متخلياً عن العيش السهل، مفضلاً الانضباط الذي مارسه دوما.

ثم اعتدل في وقفته وسألها اذا كانت مستعدة للذهاب فوراً.

- نعم، اعتقد انني مستعدة.

ونظرت صوفي ناحية الاطباق الفارغة وقالت:

- الا تعتقد... اعني اليس الافضل ان احمل هذه الاشياء الى المطبخ؟

قطب براندت واجاب:

- طبعاً لا. ستعتني احدى الخادمات بالأمر. هذا عملهن.

ولانت ملامحه وهو يقول:

- عليك ان تعتادي على السماح للآخرين بخدمتك. لا اظن انك معتادة على ذلك في الماضي.

- كلا.

هزت صوفي رأسها:

- هل ساحتاج الى معطف؟

- لا اعتقد. بالمناسبة سنذهب في سيارتي. هل تركبين الخيل؟

- كلا...

اجابت صوفي فوراً ثم شعرت بانشداد اعصابها. ايف تستطيع ركوب الخيل. كانت تعلمت في مدرسة الفتيات التي ارسلها والدها اليها. تذكرت انها اخبرتها ذلك في الماضي. ثم هدأ روعها اذ ان براندت لا يعلم بالأمر والا لما سألها.

- اذن هذا امر آخر علينا تعليمك اياه.

قطعت كلماته حبل افكارها وهدأتها. ثم وضع ذراعه حول كتفيها.

- تعالي. دعينا نذهب. اني اتطلع الى ان اريك المزيد من المنطقة.

كانت ممتلكات عائلة سانت فينسنتي شاسعة كما توقعت صوفي. نمت فيها اشجار البن. وقال براندت ان الموسم كان جيداً وامّن معيشة الكثيرين غير ان مصدر دخله الرئيسي يأتي من الجهة الاخرى من الجزيرة، من امتيازات النفط التي جنى منها ثروة لا تحد والتي اصبحت عماد الاقتصاد في الجزيرة.

الا ان اشجار البن باغصانها المائلة مثلت بالنسبة الى صوفي شيئاً حقيقياً واساسياً، وكانت سعيدة انها لم تضطر الى رؤية آبار النفط وما جاورها من آليات.

وفتنتها رؤية اشجار الموز في حالتها الطبيعية والثمر يتدلى منها موفراً الظلال. كانت الحرارة مرتفعة جداً حتى داخل السيارة وتطلعت الى عودتها والى الدوش البارد.

في اي حال، استمتعت برفقة براندت. ومثل جميع الرجال العصاميين كان يعرف كل التفاصيل عن عمله، وشرح لها عن حياة حبة البن من بدء

تكوينها في البرعم الى تحويلها الى لوح شوكولاته. فكرت صوفي بالمصاعب الجمة التي واجهت مزارع القهوة. واثر عودتها الى المنزل شعرت انها تلم بالموضوع الى درجة كبيرة. ولم تستطع الا ان تتساءل عن رد فعل آدج اذا ما بدأت تبحث معه العلاجات المحتملة لمرض جرثومي يصيب النباتات. ولم تشعر بالانزعاج الا عندما زارا احدى القرى كي تتفرج على اكوام حبوب البن المجففة. فقد راعها رؤية مستوى معيشة الناس، بعكس براندت الذي لم يتأثر عندما ذكرت الأمر. وكان واضحاً انه لم يرَ ما يزعج في نقصان النعم. ولم ينظر الى موضعه على انه مميز.

ـ انك متأففة جداً يا ايف.

قال لها في طريق عودتهما.

ـ فالمنازل كافية، والمدارس مجانية. واذا عانوا من تكاثر نسلهم فاللوم يقع عليهم.

قالت صوفي:

ـ لكن يجب ان يكون هناك بعض القيود.

فرد عليها براندت بان هز رأسه.

ـ عندما تبدأين بوضع قيود على حياة الناس، يشعرون بالدكتاتورية.

احتجت صوفي:

ـ تحديد النسل ليس كذلك.

ـ هنا يقبل الناس ما يعطيه الله شاكرين. انهم سعداء يا ايف! الم تلاحظي ذلك؟ اتعتقدين ان المنازل والحمامات النظيفة هي التي تجعل الناس سعداء؟

تخضبت صوفي وقالت:

ـ لم اقل ذلك.

ـ كلا، انما هذا ما عنيته، اليس كذلك؟

وابتسم براندت:

ـ استطيع ان ارى ان علينا تثقيفك بطرق عدة يا ايف.

كان الوقت بعد الظهر عندما عادا الى المنزل، واعتذرت صوفي وصعدت الى غرفتها. واستحمت، ثم تمددت على سريرها واسترخت.

كانت متعبة من الحرارة والتوتر فلم تفلح في محاولتها النوم. سمعت طرقاً على بابها. ورأت خادمة تدخل وهي تحمل صينية عليها ابريق صغير من مشروب الشوكولاته المثلجة وبعض قطع البسكويت.

اعتدلت صوفي في فراشها قليلاً وغطت نفسها بالمنشفة. وقالت وهي تبتسم:

ـ آه شكراً لك. ضعيها على الطاولة هناك.

فعلت الخادمة ما طلبت منها، وعندما جلست صوفي لاحظت انها الخادمة نفسها التي تحدثت معها في الصباح.

ـ قال السيد براندت ان اخبرك ان الغداء في الثانية يا آنسة ايف. وقد اعتقد انك سترغبين في تناول هذا حتى ذلك الحين.

ـ شكراً لك.

وحاولت ايف ان تجعل الفتاة ترد الابتسامة، لكنها اومأت برأسها فقط وتركتها.

وبعد ان غادرت الخادمة، سكبت صوفي كوباً من السائل ذي الرائحة الذكية واحبت مذاقه. اكلت قطعة من البسكويت ثم استرخت ثانية. كانت حالتها النفسية آخذة في التحسن، ووجدت نفسها تبتسم، فقد كان الصباح سهلاً جداً. وحالما تصبح مقبولة هنا ستسير الأمور من حسن الى احسن. ربما لم تكن ايف مصدر تهديد كما فكرت في السابق...

تناولت طعام الغداء مع براندت وروزا على الشرفة. ولما لم تر آدج او بيرز جهرت الأمر فأوضح لها براندت.

ـ تمتلك شركة تأجير صغيرة خارج بورت اوف سباين. يختين، ومركباً شراعياً ومراكب بمحركات وما شابه. يوم امس اراد زوجان اميركيان استئجار يخت ولسوء الحظ كان القبطان مريضاً، فحل مكانه بحار غير خبير. وارتطم اليخت بالصخور على مسافة من هنا قرب فم التنين دراغونز ماوث.

ـ فم التنين؟

لم تفهم صوفي فأوضح لها:

ـ انه جزء من قناة المياه الضيقة التي تفصل ترينيداد عن الشاطىء

الفنزويلي.

- هل تأذى احد؟

- لا توجد اصابات خطيرة. بعض الخدوش والجروح. هذا كل ما في الأمر. انهم محظوظون لكن اليخت ثقب ويجب سحبه الى بورت اوف سباين للاصلاح. وهذا ما يفعله آدج وبيرز.

- اوه.

علقت صوفي وانهمكت بتناول الطعام وعادت تسأل:

- هل ... هل هذا جزء من عمل خالي؟

- آدج؟

هز براندت كتفيه ومد يده الى جيبه وتناول سيكاراً.

- اعتقد انه يمكنك قول ذلك، مع ان الزراعة عمله الاساسي. في الحقيقة يمكنك تسميته مدير اعمال كل شركات سانت فينسنتي. اعتقد انه لا يقوم بأي عمل مباشر الآن، بل ربما يدقق في اعمال الآخرين لكن لا احد يستطيع اخفاء شيء عندما يكون موجوداً.

- استطيع ان اصدق ذلك.

ابتسم براندت وقال بنعومة.

- ها، هل اسمع نبرة خاصة في صوتك يا ايف؟ يجب الا تسمحي له بازعاجك كما تعلمين.

مسحت روزا سانت فينسنتي فمها بنعومة.

- لا تتوقع ان تجلب ابنة جينيفر الى هنا من دون ان يظهر آدج رد فعل ما.

قالت بصوتها العالي النبرة.

- الا استطيع؟ ولم لا؟ انت بالتأكيد لا تعنين بقولك هذا ان آدج غيور.

هزت روزا رأسها نفياً:

- لا. ان طبيعة آدج الكريمة لا تسمح له ان يكون غيوراً.

- اذن ماذا تقصدين؟

شعرت صوفي بنفاد صبر براندت يتزايد خلف لهجته المهذبة.

- اعني هوارد بالطبع.

- اوه!

مضغ براندت سيكاره الذي لم يكن اشعله واطرق ثم قال:

- ولماذا يؤثر مجيء ايف الى هنا على هوارد؟ هذا تاريخ مضى يا روزا.

- انه لم يتزوج!

- هذا لا يعني شيئاً بالمرة.

زم براندت شفتيه وقال باقتضاب:

- انت تعيشين في الماضي يا روزا.

- هل تظن ذلك حقاً؟ ربما...

وهزت كتفيها النحيلتين ثم تابعت:

- لكن الجميع يعلم ان قلب هوارد انفطر عندما هربت جينيفر مع...

- هذا يكفي يا روزا.

اصبح براندت حاد النبرة الآن.

عندما انتهى الغداء استأذنت روزا في الذهاب. ومع ان براندت لم ينهض فوراً عن كرسيه فقد كان في استطاعة صوفي ان ترى انه مشغول بأمور اخرى غير حفيدته الحديثة.

- هل تمانع اذا ذهبت الى غرفتي؟

سألته بتردد وارجعت كرسيها الى الوراء ورأت وجهه بوضوح.

- لا. طبعاً لا يا عزيزتي. لدي بعض الأعمال انا ايضاً وحرارة الطقس شديدة لا تسمح في البقاء خارجاً. اقترح ان نلتقي على الشرفة لتناول الشاي بعد الظهر نحو الساعة الخامسة.

- حسناً.

ابتسمت صوفي وتركته وسارت نحو غرفتها وهناك شعرت بالقلق ومع انها كانت متعبة لم تستطع النوم. اثرت كلمات روزا عليها بقوة ورأت نفسها تفكر بهوارد المجهول. وايقنت انه لا بد ان يكون هوارد فليمنغ الذي تحدث آدج عنه وهما عائدان في السيارة من بورت اوف سباين وتساءلت ما اذا اثر عليه هروب جينيفر بالشكل الذي ظنته روزا. لا بد ان يكون اكبر من آدج ببضع سنوات بالطبع. وهذا يعني انه في اوائل الاربعينات. في اوج شبابه كما يقول البعض، اذن لم يتزوج؟

www.elromancia.com

بعد الظهر سمعت اصواتاً مرة اخرى تحت نافذتها وعلمت ان آدج وبيرز لا بد عادا. وجعلها الامر تتحمس اكثر من اللزوم وشعرت بنفاد صبر من رد فعلها هذا. الساعة الخامسة ارتدت فستاناً برتقالياً ونزلت الى الشرفة لتناول الشاي. كانت الغرفة الصباحية خالية الا انها رأت بيرز جالساً هناك.

- مرحباً!

هتف ونهض بارتباك.

- تبدين جميلة وهادئة. ماذا فعلت بنفسك طوال النهار؟

جلست صوفي على كرسي من الخيزران وهزت كتفيها:

- لا شيء غير عادي. خرجت مع جدي هذا الصباح ثم ارتحت بعد الظهر.

- ارتحت؟

قال بيرز باندهاش:

- في مثل سنك؟ الم تذهبي الى البحر؟

- كلا. ربما سأذهب غداً.

- غداً لا شيء!

قاطعها بيرز.

- اذهبي ارتدي ملابس السباحة وسنذهب الآن.

- نذهب؟

رددت صوفي بصوت خافت.

- طبعاً! كي نسبح! تحبين ذلك اليس كذلك؟ والوقت عظيم الآن فالمياه دافئة حقاً.

لم تعرف صوفي ماذا تجيب.

- لكن من المفروض ان اتناول الشاي مع براندت.

- اوه. لن يتأثر. في كل حال ستعودين قبل ان يعرف اين انت.

وعلق اصابعه في زناره وابتسم قائلاً:

- حسناً، هيا، حضري نفسك للذهاب.

- لا ادري اذا كان يجدر بي...

بدأت صوفي تقول بعدم ارتياح لكنه قاطعها:

- هراء! انت تعلمين انك متشوقة الى السباحة. لا يمكنك قضاء ليلة اخرى في ترينيداد من دون اختبار معنى السباحة هنا. صدقاً سوف تحبين الأمر.

- انا متأكدة من ذلك، ولكن...

رفع بيرز حاجبيه بنفاد صبر وقاطعها مرة اخرى:

- ياه انك تحتاجين الى الكثير من الالحاح.

اخيراً اتخذت صوفي قراراً. وهبت واقفة بعصبية:

- حسناً، اذا كنت متأكداً.

- طبعاً انا متأكد والا لما سألتك!

- حسناً، اعطني خمس دقائق.

ذهبت الى غرفتها وسحبت ملابس السباحة ونظرت اليها بتردد. ثم هزت كتفيها وبدأت تخلع ملابسها.

بدا اللباس صغير الحجم جداً، واحتارت لماذا ابتاعته صغيراً الى هذا الحد. شعرت بالعري حيث انه لم يسبق ان ارتدت مايوه بيكيني وعرضت وسطها لاشعة الشمس.

الا ان وقت الندم مضى وشعرت بالرضى لأنها ابتاعت سترة خضراء وزرقاء لترتديها فوقه.

عادت ادراجها الى اسفل وهي تشعر ببعض القلق. كانت في منتصف طريقها على الدرج عندما دخل آدج ورآها.

وفوراً، شعرت اكثر بحراجة ملابسها وتمنت لو انها تستطيع الدوران والعودة الى غرفتها. لكن بالطبع لم يكن في استطاعتها ان تفعل ذلك. فهذا الرجل يفترض به ان يكون خالها وأي اهتمام قد يبديه لا يتجاوز اهتمام الخال بابنة اخته.

وهكذا تابعت سيرها ووصلت الى القاعة ورأته يتمدد بكسل وقد بان جلده الأسمر اللون من خلال فتحة قميصه. ثم هوت ذراعاه الى جانبيه. ونظر اليها بتمعن. وعندما لم يقل شيئاً، اضطرت صوفي الى المبادرة. وقالت له:

www.elromancia.com

- انا . . . سيأخذني بيرز الى السباحة.
اوما آدج برأسه دليل الموافقة.
- انا لم اسبح بعد.
- لم تفعلي.
لم يكن مباشراً في حديثه. ووجوده حيث هو، سد طريقها وكان عليها الالتفاف حوله اذا ارادت ان تتابع سيرها.
- هل كان نهارك طيباً؟ هل استطعت استرداد قاربك؟
سألته وهي تأمل ان تبعد نظراته عنها.
هز آدج كتفيه وقال:
- لقد استرجعنا اليخت. نعم. لكن بالكاد ادعو النهار طيباً. لن تكون شركة التأمين سعيدة بدفع نفقات اصلاحه في هذه الظروف.
ابتسمت صوفي نصف ابتسامة لكنها عندما لم تلق تشجيعاً قالت:
- اعتقد انك متعب.
- ليس بشكل خاص. ثمنا على المركب بعد الظهر.
واخيراً ابتعد عن طريقها.
- علمت ان والدي طاف بك في مزارعه هذا الصباح.
- نعم. هذا صحيح. كان الأمر ممتعاً.
وبلهجة متهكمة بعض الشيء قال:
- تمتعت اذن!
- بالطبع تمتعت.
- اعتقد انه اخبرك انه عمل مربح.
كانت صوفي تمر امامه لكن كلماته اوقفتها. ونظرت اليه بعبوس قائلة:
- لست متأكدة. لكن اظن ان كلماتك وقحة نوعاً ما.
قالتها وهي ترتجف.
- هل هي كذلك؟ ربما كان علي ان اتكلم بصورة اكثر وضوحاً.
حدقت فيه صوفي مستفسرة لكنها لم تستطع الاستمرار في التحديق فهمست:
- لا بد ان بيرز ينتظرني.

واوما لها علامة موافقة على انصرافها. لكن ما ان خطت اول خطوة حتى اطل بيرز من الغرفة، وكانت منشفة حمراء وبيضاء تتدلى على كتفيه.
انفرجت اساريره عندما رأى صوفي وابتسم:
- لقد عدت! بدأت افكر انك غيرت رأيك.
- اخشى ان اكون سبب تأخرها يا بيرز.
قال آدج ذلك وعاد الى الاسترخاء.
- لكن لا تدعاني اؤخركما اكثر يا اولاد.
رفضت صوفي النظر اليه. بل استدارت ناحية بيرز وقالت:
- نعم، دعنا نذهب.
كانت حرارة الشمس قد خفت الى درجة كبيرة وشعرا بنسمات هواء منعشة على وجهيهما وهما يهبطان الدرج وفكرت صوفي وهي تحاول طرد آدج من تفكيرها. ادت الدرجات الى رصيف رسى عنده قارب شراعي وقارب بمحركات. لا شك انه اليخت نفسه الذي استعملاه قبلاً. صرصرت الحبال قليلاً عندما تحركت القوارب مع الماء وملأت الجو رائحة مالحة لذيذة. لم يتغير لون البحر. من هنا اصبح في الامكان رؤية عمقه والاسماك الصغيرة تسبح فيه وتهاوت النباتات برقة في قاعه. خلع بيرز سرواله وسترته وظهر بمايوه ازرق ثم قفز بخفة فوق الصخور ونظر وراءه ليرى صوفي لا تزال في مكانها مترددة.
- تعالي ان المكان آمن. تستطيعين ان تسبحي اليس كذلك؟
- نعم.
قالت صوفي والشك يخالجها وهي ترخي زنار سترتها:
- هل المياه عميقة؟
- هنا؟ ليست عميقة جداً. عشرة اقدام كحد اقصى.
اتسعت حدقتا صوفي استغراباً:
- عشرة اقدام!
وضع بيرز يديه على خصره.
- هل ستأتين ام لا؟ بحق السماء اخلعي سترتك وتعالي.
تنهدت صوفي وتركت السترة تهوي وهز بيرز رأسه راضياً.

www.elromancia.com

- جميل جداً.

قال لها وهي تسير على الصخور بارتباك نحوه:

- ولكن لونك شاحب. لا بأس. فسرعان ما ستصبحين سمراء مثلي.

شكت صوفي في الأمر، فبيرز كان اسمر اللون مثل والده. ومثل هذا اللون الداكن يحتاج الى سنوات عدة لاكتسابه.

سار بيرز نحو حافة الصخور ونظر الى اسفل بانتباه. ثم ناحية صوفي:

- هل تغطسين؟

- استطيع. ولكن افضل الا افعل.

واعترفت صوفي بعصبية:

- الا استطيع ان انزلق في المرة الأولى؟

اشار بيرز الى الخليج حيث برز رأس صخري من المياه.

- عدا تلك الصخرة التي تعطي بوانت سانت فينسنتي اسمها ليس هناك ما يخيف ... فلا مد قوي او تيارات مائية. سأذهب انا اولاً ثم تتبعينني.

غطس ثم عام. وازاح شعره عن عينيه ثم سبح عائداً الى حيث كانت صوفي ما زالت تقف.

- هيا! انه امر سهل. اقفزي!

ترددت صوفي لحظة اخرى ثم ضغطت على طرف انفها تسده وقفزت من الصخور الى المياه. ضاق تنفسها عندما شعرت بالبرودة في البدء لكن ما ان طفت على صفحة المياه حتى شعرت بان المياه كانت دافئة بالفعل. ونظرت حولها لتجد بيرز على مسافة منها وسبحت في اتجاهه بتمهل وهي مسرورة باحساس الماء على جلدها الدافىء. قال بيرز:

- حسناً! ليس الأمر سيئاً، اليس كذلك؟

- لا انه رائع!

دفعت صوفي الماء براحة كفها ونظرت حولها بتشوق.

- لم اسبح كثيراً في البحر سابقاً. ان الطقس بارد جداً دائماً في بلادي.

- هذا لا يفاجئني.

اوما بيرز:

- كان الطقس بارداً جداً عندما كنت في انكلترا. عليك تعويض ذلك وانت هنا.

سبحا ولعبا لبرهة ثم قال بيرز، ان عليهما العودة فقد جاوزت الساعة السادسة وقد يكون براندت قلقاً.

- الساعة تجاوزت السادسة! ياه ظننت انها الخامسة والنصف تقريباً.

ضحك بيرز وقال:

- انها صحبتي المسلية يا صوفي. سآخذ كلامك كمديح.

ضحكت صوفي ايضاً ثم سبحا وخرجا من الماء. شعرت صوفي بضعف غريب في قدميها وادركت ان التمرين غير الاعتيادي قد اتعبها. وقال بيرز الذي لاحظ تعبها:

- سنرتاح هنا قليلاً قبل ان نصعد الى المنزل، اتوافقين؟

- آه، ولكن ماذا بخصوص جدك؟

قالت صوفي قبل ان تفكر بكلامها.

- جدي! انه جدك ايضاً.

تغضبت صوفي:

- نعم. ادرك ذلك. لكن اعتقد ان المرء في حاجة الى بعض الوقت كي يعتاد الامر.

قبل بيرز تفسيرها وبعد ان جفف جسمه لبس ثيابه وجلس قربها على الرصيف الدافىء وسألها بلطف:

- اتظنين انك ستتمتعين باقامتك هنا؟

هزت صوفي كتفيها:

- انا متأكدة.

- اذن سوف تبقين؟

- ابقى؟

- طبعاً. والدي قال انك لا تودين ذلك لكن براندت يأمل العكس.

فكرت صوفي بغضب. اذن هذا ما في الأمر! كان عليها ان تعلم بان براندت سانت فينسنتي ليس من النوع الذي يدع فرصة مثل هذه تضيع من يديه. استطاعت جينيفر ان تتحرر من قبضته، لكن ابنتها قد لا تستطيع

ذلك...

فجأة نودي عليهما من فوق واستدارت لتجد براندت على رأس الدرج يطلب منهما المجيء.

- تعالي، ارى ان علينا الذهاب.

كان على صوفي ان تبتسم وهي تنهض وصعدت الدرجات دونما صعوبة جمة ولحقها ببرز. بقي حديثهما عالقاً في ذهنها. وصلا رأس الدرج وسارا عبر الحديقة الى حيث ينتظرهما براندت وهناك، رأيا انه لم يكن وحده. كان في رفقته رجل آخر معتدل القامة ذو شعر بني داكن يخطه بعض الشيب وملامحه جذابة، كان يرقب صوفي وهي تسير نحوهما وتساءلت من عساه يكون. ماذا لو كان شخصاً يعرف ايف، وادرك للحال انها ليست حفيدة براندت سانت فينسنتي؟

لكن لم يكن هناك ثمة ما يبرر مخاوفها. وسرعان ما انكشفت هوية الغريب. اخذ براندت ذراعها بصورة تملكية عندما اقتربت وقال:

- كنا في انتظارك يا عزيزتي ايف. دعوت هوارد لتناول الشاي كي يتعرف اليك. لكن لا بأس. انت هنا الآن. اريد ان اقدمك الى صديق قريب... هوارد فليمنغ. حسناً يا هوارد. ما رأيك بابنة جينيفر؟

٤ - لماذا لا تبقى هنا؟

ارتدت صوفي ثياب العشاء في الليلة التالية بانزعاج. فقد كان مقرراً ان يتناولوا العشاء خارج المنزل هي وبراندت وروزا وآدج وشعرت انها عصبية كالهرة. سيذهبون الى كومالي الى منزل عائلة فليمنغ، وشعرت بثقل الزيارة، بالقدر نفسه الذي شعرت به عندما اتت الى بيت سانت فينسنتي.

كان هوارد فليمنغ انيساً جدا بعد ظهر اليوم السابق. فعوضاً من معاملتها بالمرارة التي احسها ولا شك تجاه جينيفر، تصرف بود زائد، متجنباً الوقوع في اي ضيق معها. وهو على عكس ذلك، ذهب الى حد ابدى فيه اسفه لوفاة والدها وهو شيء لم يفعله حتى براندت.

في أي حال، كانت صوفي مدركة وضعها اكثر من اي امر آخر. وبينما وجدت هوارد رجلاً ودوداً وجذاباً، الا انه يبقى الرجل الذي تخلت عنه

www.elromancia.com

جينيفر مفضلة جيمس هوليستر. عبرت الغرفة نحو السرير حيث كان فستانها الذي سترتديه في تلك الامسية اللباس المسائي الرسمي الوحيد الذي احضرته معها وتأملت ان يكون مناسباً. كان الفستان طويلاً ابيض بدا قماشه كأنه مخملي. وكانت ايف قد اهدتها اياه قبل مجيئها الى ترينيداد بعد ان ابتاعته لمناسبة خاصة لكنها لم ترغب في ارتدائه مرة اخرى، لذا اصرت على صوفي ان تأخذه، واحست صوفي بالغبطة لانها قبلته. غطت الاكمام الطويلة المزمومة ذراعيها الملتهبتين قليلاً، بينما اضفى العقد مظهراً هادئاً مصقولاً عليها.

لم يكن مقرراً ان يرافقهم بيرز. لكنه امضى معظم النهار مع صوفي التي تمنت لو يكون في الأمسية معهم يضفي جواً من البساطة. غير انه لم يكن يحب مناسبات العشاء الرسمية فقرر الذهاب الى ناد ليلي في بورت اوف سباين مع بعض الأصدقاء.

نزلت صوفي الى القاعة حيث تجتمع العائلة عادة قبل العشاء الساعة السابعة. لكن الغرفة كانت خالية وسارت نحو النافذة وهي تفكر وتنظر الى الظلال في الحديقة. ثم اتجهت الى المكتبة وبدأت تطالع عناوين الكتب، وكبقية المنزل كانت هذه الغرفة جميلة جداً فما ان تناولت كتاباً عن الرف حتى سمعت خطوات خلفها، واستدارت لتجد آدج يدخل الغرفة. وبدا رائعاً في سترة مسائية بيضاء فشعرت صوفي برعشة لا ارادية تسري في جسمها. اعادت الكتاب الى مكانه واستدارت نحوه بتردد. اجال النظر فيها وارتجفت وخاطبته بعصبية:

- هل... هل منزل عائلة فليمنغ بعيد من هنا؟

تجول ادج في الغرفة ونظر حوله وقال:

- ليس بعيداً جداً.

ثم سألها:

- هل تريدين شراباً؟

- لا مانع.

واعطاها الكأس وفيما هما يتحدثان سمعا اصواتاً في القاعة وبعد لحظة دخل براندت وروزا الردهة. كانت المرأة ترتدي معطفاً اسود طويلاً ناسبها

جداً وسرت صوفي لأنها اعتنت بمظهرها الى هذا الحد. وبدا واضحاً لها ان المناسبة ستكون رسمية الى حد بعيد.

- آه، انت مستعدة.

خاطبها براندت وهو ينظر اليها باعجاب.

- تبدين رائعة يا عزيزتي. سأكون موضع حسد الجميع هناك.

قبلت صوفي المديح بخجل ونظرت بارتباك الى الكأس التي في يدها وتابع براندت نظراتها.

لم تستطع صوفي قول شيء. فقد شعرت بنظرات آدج تتمعن فيها لكنها رفضت ان تمتعه بمشاهدة ارتباكها، وهكذا احتست قليلاً من شرابها وحاولت ان تبدو عادية في ذلك. وعندها شعرت ببعض الارتياح وتصورت انها مستعدة اكثر لمواجهة الامسية المقبلة.

ذهبوا الى كومالي في سيارة فخمة رمادية احضرها السائق الزنجي جوزف وقرر آدج ان يقود السيارة، فجلس براندت الى جانبه، بينما جلست صوفي وروزا في المقعد الخلفي. سمعت صوفي عبر نوافذ السيارة المفتوحة اصوات مخلوقات الليل غير المألوفة، وكانت رائحة الازهار التي نمت بكثرة في الجزيرة تعبق فتملأ الأمسية غير المقمرة بالشذى. وشعرت صوفي بالراحة.

استغرقت الرحلة عشرين دقيقة الى منزل عائلة فليمنغ واستطاعوا ان يروا اضواء المنزل عامرة وهم يقتربون ويسمعون اصوات الموسيقى الخافتة.

كانت سيارة اخرى تقف عند منعطف في الممر، فأوقف آدج السيارة وراءها، ثم خرج ليساعد عمته في النزول بينما ساعد براندت صوفي وساروا معاً الى المبنى المضيء.

صعدوا بضع درجات ووصلوا باحة البيت الخارجية حيث رأوا الأبواب مفتوحة وآل فليمنغ يرحبون بضيوفهم. وما ان رآهم هوارد فليمنغ حتى اتجه نحوهم مرحباً بحرارة، وعيناه تحدقان بمظهر صوفي الجذاب.

- تعالي لأقدمك الى والدي يا ايف.

قال لها واشار على الاخرين ان يرافقوهما.

- ان والدتي متشوقة للتعرف اليك.

كانت ماريون فليمنغ فارعة القامة مثل ابنها كما شابهته في المظهر. شعرها بني وقدرت صوفي انها تجاوزت الستين عاماً لكنها بدت اصغر من ذلك بعشر سنين. ما هو السر في الهواء الذي جدد شباب العالم وحيويته هنا؟

وهتفت والدته:

- اذن انت ابنة جينيفر.

وتفحصت صوفي بعينين لم تعكسا حرارة كلماتها.

- لم أكن لاعرفك تلقائياً فانت لا تشبهينها ابداً.

- هراء!

اجاب براندت واراح صوفي من ضرورة الاجابة عن ذلك الكلام المربك، ثم تابع:

- طبعاً انها تشبه جينيفر. ربما نسيت كم كانت جينيفر جذابة.

- لو ننسى جينيفر يا براندت.

اجابت ماريون ببعض الحدة، وساد صمت مربك لوهلة. وفي تلك اللحظة اقترب ادريان فليمنغ والد هوارد وغابت سمة الحديث الذي سبق اقترابه. ووجدت صوفي نفسها تقف وهوارد الى جانبها. فهمس باعتذار:

- يجب ان تسامحي والدتي يا ايف.

- لم تسامح جينيفر بسبب هروبها.

ونظرت صوفي اليه:

- وهل سامحتها انت يا سيد فليمنغ؟

- ... هوارد ارجوك! سيد فليمنغ كلمة فيها تكلف ولا حاجة بنا الى الرسميات بحق السماء، ربما كنت...

ثم قطع كلامه فجأة وسألها:

- اخبريني. ماذا تفعلين في انكلترا؟

تنهدت صوفي بعمق، وبدأت تخبره قليلاً عما عرفته عن عمل ايف ولكن لحسن الحظ لم يلح عليها، وسرعان ما انتقل بهما الحديث الى مواضيع اقل حساسية. قدمها هوارد الى الضيوف الآخرين، زوجان في منتصف العمر

لورنس وجين كينيدي والى اخته، جانين التي كانت تتحدث مع آدج.

كان شعر جانين فليمنغ كشعر اخيها، كثيفاً واجعد، لكن التشابه بينهما انتهى عند هذا الحد. كانت اصغر قامة منه نحيلة وذات عينين لامعتين وفم صغير، وبدت في فستانها الأحمر اللامع كلسان لهب مع سترة آدج البيضاء، وهي تضع ذراعها على كتفه وكأنها تمتلكه. وعندما اقترب هوارد منهما ليقدم صوفي، نظرت اليها بعدم اكتراث واضح وقالت كلمة ترحيب عابرة قبل ان تتابع حديثها مع رفيقها. كان آدج يميل برأسه نحوها وهو يستمع لما تقوله، وشعرت صوفي بلسعة قلق تنتابها عندما رأت مدى حميمية علاقتهما. ولم تتوقع رد فعلها هذا وشدت على يدها بأظافرها وهي تشعر بموجة من الاستنكار تعتريها. لم تعرف السبب. لكن فكرة وجود علاقة ما، بين هذين الشخصين لم ترق لها البتة. ووجدت نفسها فجأة تتساءل عن شكل زوجة آدج ومنذ متى توفيت.

بدأت بالابتعاد ورأت عيني آدج تراقبانها. كان لا يزال يستمع الى ما تقوله جانين لكن صوفي لاحظت شروده للحظة. وادارت ظهرها لهما وحاولت ان تنتبه الى ما كان يقوله هوارد لها لكن الأمر لم يكن سهلاً. كانت يداها ترتجفان وراحتاها متعرقتين، وكرهت الاعتراف بأن آدج سانت فينسنتي كان سبب هذا الدفق المفاجيء من العاطفة. بحق السماء بماذا كانت تفكر؟ هل ارادت ان تعطيه الانطباع الخاطيء؟ ماذا يفكر لو بدأ يشك في ان الفتاة التي يفترض ان تكون ابنة اخته قد بدأت تشعر نحوه بطريقة لا تمت الى علاقة ابنة الاخت بالخال بشيء!

مسحت يديها وابتسمت لهوارد ابتسامة شكر متكلفة. ولكنها اعترفت انها لا بد ان تكون مجنونة لتدع مثل هذه الافكار تخامرها. وبالفعل لم تتذكر انها شعرت بشكل مماثل سابقاً. لم ترتبط بعلاقات عابرة في السابق وتخيلت نفسها، ربما عن سذاجة انها متحررة. لكن كان عليها الآن ان تعترف بقلة خبرتها. حركت كتفيها بنفاد صبر. حسناً، ادركت هذا الضعف فيها وكان عليها ان تتغلب عليه. لكن هل ستتمكن؟ سمعت صوتاً في داخلها يهمس: لماذا لم تشعر بمثل هذا تجاه اي رجل قابلته في عملها، اولاً في استوديوهات التلفزيون، ثم في المسرح؟

كان منزل عائلة فليمنغ اقرب الى التقليدي من منزل بوانتي سانت فينسنتي. واخبرها هوارد انه من الممكن رؤية البحر من نوافذ الطبقة العلوية في النهار لكن موقع البيت كان بعيداً قليلاً عن البحر ولذا بنوا حوض سباحة في الحديقة. في هذه الامسية كان الحوض مضاء حيث تناولوا طعام العشاء خارجاً الى طاولة طويلة بدت جذابة بما عليها من اطباق هيبيسكوس صفر وقرمزية وبدا الحوض كأنه يدعو المرء الى السباحة. واقترح هوارد على ايف ان تأتي لقضاء نهار معهم خلال اجازتها. علقت صوفي على ما قاله بلطف لكنها لم تستبعد الفكرة كلياً. لم تكن تعرف تماماً ما قد تكون ردود فعل ماريون فليمنغ على مثل تلك الدعوة، ومع انها تصرفت بود مع جميع الضيوف، الا انها شعرت بانها لم تحبهم. كانت وجبة العشاء شهية ولم يسبق لصوفي ان تذوقت حساء سمك قبلاً، كما احبت اللحوم المشوية. انهوا العشاء بتناول بعض الفاكهة والقهوة التي اصبحت صوفي تحبها. كانت مسرورة لأن تجلس باسترخاء في مقعدها بين براندت وهوارد وتستمع الى حديثهما. بينما الرجال يدخنون السيكار الذي وزعه ادريان فليمنغ كان ادج يجلس قبالتها بين جين كينيدي وجانين فليمنغ. ومنعت صوفي عينيها من التجوال في ذلك الاتجاه واحست بان لجانين يداً في ترتيب كيفية جلوس الضيوف الى الطاولة. عندما انتهى الجميع من تناول العشاء، ازال الخدم الطعام عن الطاولة. ثم سمع الجميع مزيداً من موسيقى الكاليبسو. سحبت جانين آدج ليراقصها وبعد ان رافق لورنس كينيدي ماريون فليمنغ الى حلقة الرقص، استدار هوارد نحو صوفي:

- لا اعرف كيف ارقص هذه الرقصات الحديثة لكنني سأفعل ما استطيع.

نظرت صوفي بشك ناحية براندت، منتظرة موافقته فأومأ برأسه مشجعاً:

- هيا، يا عزيزي شجعها وسأتمتع بمراقبتك.

مع كل ما قاله هوارد عن عدم خبرته في الرقص، فقد بدا راقصاً ممتازاً وتمتعت صوفي بمراقصته. كانت الموسيقى بطيئة ذات ايقاع، ولم يضمها اليه كثيراً. ووجدت نفسها تفكر بغرابة الموقف وكأنها كانت فعلاً ابنة جينيفر.

في اي حال، كان من الممكن ان يكون هذا الرجل اباها لو سارت الأمور كما تتوقع وشعرت اكيدة انه كان يزمع على قول ذلك قبلاً عندما سكت عن الكلام فجأة. وعندما انتهت الاسطوانة شعرت بشيء من الحسرة. تحدثت معه بمرح وهما يسيران نحو الآخرين.

كان آدج يقف الى جانب كرسي والده ويتحدث معه ومع ادريان فليمنغ. ووقفت جانين الى جانبه، ولاحظت صوفي انها لم تكن معتادة على الا تشارك في اي حديث. لكن الرجال كانوا يتحدثون عن الحادث الذي ثقب اليخت ولم تكن جانين ملمة بالموضوع كثيراً. بدا هوارد كأنه ربط نفسه بها ذلك المساء وبقي قريباً منها اينما ذهبت ومع انها استلطفته ووجدت في رفقته متعة لكنها تمنت لو يهتم بضيوف والدته الآخرين اهتماماً اكثر. لاحظت ان آدج انتبه الى ملازمة هوارد لها ولم تكترث عندما رأت شفتيه تزمان كلما نظر تجاهها. وضعت اغنيات اخرى على الفونوغراف ودعا لورنس كينيدي صوفي الى مراقصته. قبلت بعد تردد ورأت ان آدج كان يراقص مضيفته. بقيت جانين قرب اخيها وبراندت لكن صوفي استطاعت ان تدرك من تعابيرها انها لم تكن مرتاحة الى الوضع القائم.

قرابة الحادية عشرة والنصف بعد ان رقصت صوفي مرات عدة اخرى احداها مع براندت واخرى مع ادريان فليمنغ ساد جو يشيء بنهاية الحفلة. فغادرت عائلة كينيدي واصرت على انها ستتصل بالاخرين لتنظيم حفلة مماثلة في دارها، ثم رافق براندت واخته عائلة فليمنغ الى المبنى الرئيسي كي تحضر روزا شالها. وتبعهم هوارد وصوفي وسارا امام آدج وجانين بخطوات واستطاعت صوفي ان تسمع همسات الفتاة. الا انها لسوء الحظ لم تستطع ان تفهم ما كانت تقوله واضطرت الى اجبار نفسها على عدم الانصات. بعد القاء تحية المساء ذهبت صوفي وروزا وبراندت الى السيارة للعودة الى المنزل. وتأخر آدج قليلاً وبعد لحظة جاء وجلس خلف المقود ولم تستطع صوفي الا ان تتساءل اذا كانت جانين هي السبب في التعبير المتجهم الذي ارتسم على محياه!

لم تر صوفي آدج ثانية خلال يومين. علمت انه غادر في الصباح التالي للحفلة الى بياركو وهو المطار الدولي في بورت اوف سباين ليذهب بالطائرة

الى توباغو. واخبرها بيرز ان لديهم مصالح في سكاربورو، عاصمة الجزيرة الصغيرة، وبما ان جو تقاعد تقريباً عن العمل، فقد قام آدج بتلك المهام بنفسه.

همست صوفي بدلال، بالكاد مدركة انها تحدثت بصوت مسموع:

ـ يبدو انها رحلة ممتعة.

نظر اليها بيرز مندهشاً وسألها:

ـ هل كنت ترغبين الذهاب انت ايضاً؟ كان في امكانك ذلك على ما اظن، لكنني افترض ان والدي لم يعتقد انك تولين الأمر اهمية.

وهزت صوفي رأسها بسرعة وهتفت:

ـ اوه... كنت فقط اتمتم لنفسي، علماً بانني سعيدة تماماً هنا، شكراً لك.

ابتسم بيرز وتمدد قائلاً:

ـ اجل، ان الحياة هنا لذيذة، اليس كذلك؟ لا احب العمل ذاك، وافضل البقاء والعمل في القوارب. اخبريني! هل تودين الابحار على قارب شراعي؟

ـ لا اعلم... اعني لا ادري ما علي فعله.

ـ يمكنني ان اعلمك. ان الامر سهل فعلاً ما دام في امكانك ان تسبحي...

ـ تقصد في حال انقلب القارب بنا!

ابتسم بيرز بحذق وقال:

ـ في الواقع على المرء ان يكون حاضراً لكل احتمال.

نظرت صوفي الى بشرتها ولاحظت كم تبدو جذابة بلونها الذي يتحول تدريجياً الى الذهبي وهمست:

ـ اوه... لا ادري...

ـ لماذا؟ الا تثقين بي؟

رفع بيرز حاجبيه وبدا للحظة شديد الشبه بوالده.

نظرت صوفي بعيداً وقالت:

ـ طبعاً اثق بك. الأمر هو... حسناً، ما سيقول براندت؟

ـ اسأليه.

اجابت صوفي بتردد:

ـ هل افعل؟

ـ انا اسأله اذا كنت ترغبين.

ـ لا. لا. انا سأفعل.

ونهضت صوفي ونظرت نحوه من دون ان تعير صخر المايوه الذي ارتدته اي اهتمام.

ـ هل احتاج الى شيء؟

ـ حذاء من المطاط. اذا كان لديك. اسرعي. سوف يطيب لك الأمر.

لم يبد براندت اي اعتراضات على خططها عدا تنبيه صوفي ان تكون حريصة.

ـ لا اريد ان يصيبك مكروه وانا بالكاد عثرت عليك.

قال لها بحرارة وشعرت صوفي بالذنب. كان عليها ان تقنع نفسها انه لولا مجيئها لما وجد احداً يغدق عليه حنانه وانها بالتالي لا تؤذيه، لكنها كرهت ان تخدعه هكذا. ورأت الأمر يزداد سوءاً.

اخذها بيرز في القارب. ومع انه كان صغير الحجم نسبياً فقد كان يتحرك بسرعة مخيفة وهو يمخر المياه. تضايقت صوفي في البداية. لكن ما ان استقرت في المركب حتى بدأت تستمتع بالنزهة. فالقارب الشراعي كان مثيراً اكثر من القوارب ذوات المحرك، كما كان تفسير بيرز لما يفعله مثيراً ايضاً.

ـ اذا ابقيت المركب في وضع مستقيم يسير باقصى سرعته والريح هي التي تقوم بالعمل طبعاً. لهذا ابقي الحبل الرئيسي في يدي كي اغير من وضع الشراع في مواجهته للريح. فاذا ما واجهتنا ريح قوية مفاجئة وكان الشراع معرضاً لها الى درجة كبيرة يمكن عندها ان تنقلب، ولذا على البحار توجيه المركب وادارة الشراع.

ـ هذا رائع.

ونظرت صوفي الى الشراع العالي فوقها والى زرقة السماء الصافية.

ـ هل سأستطيع تسيير القارب لاحقاً؟

www.elromancia.com

ابتسم بيرز بهزء:

- ليس اذا استمريت في الانحناء نحو الخافة كما تفعلين الآن. عليك ان تشدي بعكس ضغط الريح، لا ان تضيفي وزنك في اتجاه ضغطها.

ضحكت صوفي وغيرت موضعها.

- اني مسرورة لانك دعوتني الى المجيء.

- وانا ايضاً.

نظر بيرز اليها وبدا مسروراً.

- يبدو اننا ننسجم معاً اليس كذلك؟

اومأت صوفي برأسها موافقة. كان ذلك صحيحاً. فعندما تكون مع بيرز تنسى فداحة موقفها وتتصرف بصورة طبيعية. ربما كانت مبالغة لكنها شعرت بأنها كانت انسجمت مع بيرز في اي حال ومن دون صلة القرابة المفترضة بينهما.

في صباح اليوم التالي دخل براندت الى غرفة الصباح بينما كانت صوفي تنتهي من تناول الافطار ليبلغها ان هوارد يريد التحدث اليها بالهاتف.

نظرت صوفي نحوه وفاجأته وهو متجهم الوجه.

- لماذا؟

سألته دونما تفكير فهي لم تجد سبباً يدعو هوارد فليمنغ الى التحدث اليها.

هز براندت كتفيه واجابها بثقل.

- اعتقد انه سيدعوك الى قضاء نهار في كرمالي.

قالت صوفي ومسحت فمها بالمنديل:

- اوه.

سألها براندت باشراق:

- الا تريدين الذهاب؟

- ليس بشكل خاص... انا بالكاد اعرفهم.

- اذن لا تذهبي.

ثم اضاف:

- اعلم ان هوارد يشعر بانجذاب نحوك، حسناً... لانك ابنة جينيفر، لكن لا يعقل ان يتوقعك ان تنجزي ما تركته امك!

اتسعت عينا صوفي:

- اتعتقد انه يشعر هكذا؟

- اللعنة، انا اعلم انه كذلك!

وتحرك براندت بنفاد صبر:

- بالتأكيد حتى انت لاحظت كيف حام حولك طوال تلك الامسية!

تنهدت صوفي:

- من الافضل ان اقول له انني لست ذاهبة اليهم.

- نعم، اعتقد من الافضل ان تفعلي ذلك.

اومأت صوفي برأسها ونهضت واقفة. آخر ما ارادته الآن هو ان يخلق هوارد فليمنغ تعقيدات عاطفية لها. خاب امل هوارد عندما رفضت دعوته. فقال مقترحاً:

- اذا لم ترغبي قضاء نهار هنا فما رأيك بدعوة الى العشاء هذه الليلة؟

ترددت صوفي واخيراً قالت:

- آدج ليس هنا، كما تعلم واعتقد ان جدي يفضل لو بقيت هنا الليلة.

سمعت هوارد يتنهد بعمق ويقول باصرار:

- غداً، اذن؟

صمتت لفترة فقال لها هوارد:

- يعود آدج غداً، اليس كذلك؟ وسوف يبحث مع براندت في شؤون العمل، في هذا الوقت تتناولين العشاء معي.

فكرت صوفي في الأمر. كان هناك بعض الحقيقة في قوله في اي حال، ابلغها بيرز انها كانت رحلة عمل.

- حسناً غداً مساء. اي ساعة؟

- سآمر لأخذك قرابة الساعة السابعة. اينابسك ذلك؟

- حسناً.

قالت صوفي وبدأت تندم على موافقتها للخروج معه.

- الى اللقاء اذن.

- الى الغد يا ايف.

ما ان وضعت سماعة الهاتف مكانها حتى شعرت بانها لم تعد وحيدة في الغرفة. كان براندت قد خرج من غرفته ووقف يراقبها.

- اذن، سوف تخرجين معه غداً مساء.

علق بتجهم مبيناً لها انه سمع نهاية حديثها مع هوارد. وتنهدت قائلة:

- لم يكن في وسعي ان افعل شيئاً. سوى ان اطلب اليه ان يدعني وشأني؟

هز براندت رأسه.

- الى اين سيأخذك؟

- لست ادري. لم افكر بسؤاله. فقط الى العشاء على ما اعتقد.

ووضع براندت يديه في جيبي سرواله واقترب منها:

- حسناً، هل تعلمين يا ايف. لقد مضى على وجودك هنا قرابة اسبوع وحتى الآن لم نتحدث فعلاً.

- اوه، بل فعلنا! واقول بانني احب اقامتي هنا، والجميع لطفاء معي.

- من السهل على المرء ان يكون لطيفاً مع شخص مثلك يا ايف. ويجب ان تعلمي... حسناً... قال براندت بصوت اجش واضاف:

- لا اريدك ان تفكري في العودة الى انكلترا.

فغرت صوفي فاها وهمست بعدم ارتياح:

- ولكن... ولكنك تعلم انه يجب علي ان اعود.

- لماذا؟ لماذا يجب عليك؟

- لدي... عملي...

- اعلم ذلك. انا مستعد لأن اقبل ما يعنيه عملك لك. لكن اذا اردت مني ان اساعدك فليس كثيراً علي ان اتوقع منك البقاء بعض الوقت هنا.

حدقت صوفي فيه من دون ان تفهم قصده وقالت بصوت شبه هامس:

- لا افهم.

وفكرت بشكل حدسي مفاجيء اذا كان ثمة امر اخفته عنها ايف قصداً.

- طبعاً تفهمين.

لحسن الحظ كان براندت مستغرقاً بشرح وجهة نظره الى درجة لم ينتبه معها كفاية الى صدمتها.

- لا انوي الخوض في حسنات الوضع ومضاره الآن. هناك متسع من الوقت لذلك، لكن... اتمنى ان تفكري جدياً في البقاء هنا. هل فترة سنة مدة طويلة؟

- سنة؟

كان ارتباك صوفي واضحاً هذه المرة. واحنى براندت كتفيه من خيبة امله. وقال بصوت مثقل:

- لا تريدين ذلك. ولا استطيع ان اجبرك. لكنني اتمنى ان تحاولي رؤية الامر من وجهة نظري.

- ولكنني افعل.

وضغطت كفا على كف وتابعت:

- انا... انا افهم تماماً، لكن لدي ارتباطات. ولا استطيع ان اتخلى عن كل شيء لفترة سنة!

زفر براندت بصوت مسموع:

- لا. لا. كان علي الا اطلب ذلك.

راقبته صوفي بضعف. لكن ماذا تستطيع ان تفعل. كانت غير قادرة على تلبية رغبته حتى ولو ارادت. اقترحت ايف عليها البقاء اسبوعين او ثلاثة اسابيع. لكن ليس سنة! اضافة الى انه كان عليها التفكير في عملها. فالشركة لن تبقيها في عملها بعد غياب سنة.

في اي حال. لو انها كانت فعلاً ايف هوليستر، وبراندت كان حقاً جدها، لكانت على يقين ان لا شيء يمنعها من البقاء وتحقيق رغبته. فحياتها في انكلترا اصبحت الآن غامضة والحياة الحقيقية هي في ترينيداد وخاصة، في بوانتي سانت فينسنتي...

٥ ـ الماضي يؤذي الجميع!

عاد آدج متأخراً بعد ظهر اليوم التالي، ودخل غرفة برائدت وأغلق الباب خلفه لم تتوقّع صوفي أن تراه قبل ذهابها مع هوارد. لكن عندما نزلت الساعة السابعة إلاّ ربعاً وجدته في الردهة مسترخياً. كان لا يزال يرتدي ثياب السفر وبدا تعبيره مكفهراً عندما استدار ووجدها تتردّد عند المدخل.

تقدمت صوفي بحذر في الغرفة، وشعرت باحراج وهي تحاول أن تبدو عادية في حديثها:

ـ هل كانت رحلتك جيدة؟

تمهّل ادج قبل أن يجيبها باقتضاب:

ـ ناجحة.

ـ اوه... حسناً، أعتقد أنك متعب.

ـ لا. هل يجب أن اكون؟

تعمّد أن يكون معانداً. استدارت صوفي بعيداً. لم يكن في وسعها الدفاع عن نفسها عندما يجابهها بهذا الشكل.

ـ فهمت أنك ستتناولين العشاء مع هوارد.

جعلتها كلماته تستدير نحوه ثانية.

ـ نعم. لا بد أنه سيصل في أية لحظة.

ـ اذا أردت نصيحتي. لا تقتربي من هوارد.

علّق ادج بوضوح. وشعرت صوفي بموجة من العصبية تذوب أمام فورة من الغضب التام.

ـ لا اذكر أنني طلبت نصحك.

ـ لا، ولكنني أقدّمه في أي حال.

ـ لماذا؟ لماذا لا اخرج معه؟

ـ أول شيء، عمره أكبر من أن يلائم عمرك. ثم انه يعاني من وهم أنك جينيفر بعثت حيّة.

اخذت صوفي نفساً مرتجفاً:

ـ نحن مجرد أصدقاء.

ـ حقا!

تناول آدج سيكارا من علبة على الطاولة ووضعه بين اسنانه.

ـ حسنا، لا تقولي انني لم أحذرك!

تنهّدت صوفي وراقبته وهو يشعل السيكار ويمجه بعمق ثم هتفت:

ـ اتمنى لو أنك تتوقّف عن التحدث بهذه الطريقة فأنت... أنت خالي في النهاية.

ـ اذن كيف تودّين أن اكون؟

احنت صوفي رأسها:

ـ فقط لا... لا تستدرجني دائما.

ـ اوه فهمت. لا تستطيعين مجاراتي، هذا ما في الأمر؟

نظرت اليه. كانت عيناه قاسيتين وفمه ينمّ عن تهكم وقالته باندفاع:

- الحمد لله ان بيرز لا يشبهك.
- ألا يشبهني؟ أليس مثلي؟ هل أنت متأكدة من ذلك؟
- طبعاً أنا متأكدة. انني استمتع برفقته.
- ولا تستمتعين برفقتي؟
- لا تتهمني بشيء لم اقله.
- اعتقدت أن الاستنتاج هذا حتمي.
- تظن أنك حاذق أليس كذلك؟
- ليس بصورة خاصة. كانت ملاحظة معقولة.
- اوه!

استدارت بانزعاج، فبساطة لم يكن في امكانها أن تربح مناقشة ضدّ مقاومته التي لا تتزحزح.

- اعتقد أنك تحب... ايذائي.

اتكأ آدج على الرف:

- لا أشاطرك الرأي.
- بل انك تفعل، وارتجف فم صوفي، لماذا لا تتحدّث اليّ من دون أن تكون متهكماً طوال الوقت؟
- هل هذا ما افعل؟
- انت تعلم ذلك!

هزّ ادج كتفيه العريضتين بكسل. ولاحظت عضلاته القوية تحت قميصه القطني الرقيق.

- اذا امتنعت عن أن اكون، ولأستعمل تعبيرك، متهكماً، معك هل ستبتعدين عن هوارد؟

ارتفع حاجبا صوفي دهشة:

- تعني... تعني أن ارفض الخروج معه؟
- ليس الليلة، فالامر مقضي. أعني... لا تقبلي أي دعوات في المستقبل.

بدت الحيرة على صوفي وسألته:

- ولكن لماذا؟

ضاقت عينا ادج:

- انه طلب مباشر. اجيبي.
- ولكن ماذا في استطاعتي أن اقول؟ سيبدو الامر... وقحاً جداً.
- اخبريه أنك تزمعين القيام بأمور اخرى. اخبريه انك تخرجين معي.
- معك؟ اندهشت صوفي، ولكنه سيعلم أن الامر غير صحيح.
- سأجعله صحيحاً.
- ولكن لماذا تفعل ذلك؟
- هوارد صديقي. ولا أريده أن يتأذى مرّة اخرى. اذا كان في مقدوري منع ذلك.

تردّدت صوفي:

- ما الذي يجعلك متأكداً أنني سوف لؤذيه؟
- ستعودين الى انكلترا، اليس كذلك؟ عندما تنتهي هذه اللعبة!
- ماذا تعني بهذه اللعبة؟

وخفق قلبها بشدة.

- مجرّد اصطلاح، هذا كل ما في الأمر. في أي حال، الامر فعلا لعبة اليس كذلك؟

اعني... الوضع بمجمله.

لم تعرف صوفي بما تجيب. لكن لحسن حظها سمعا صوت محرك سيارة تقترب من الباحة في الخارج.

وقال ادج بجفاف:

- يبدو أنه حضر. لا تزعجي نفسك. سيدخله أحد الخدم.

هزّت صوفي رأسها وقالت باضطراب:

- اتمنى لو أنني غير ذاهبة.

هز كتفيه واعتدل في وقفته:

- لماذا؟ ستمضين وقتاً طيباً في الغالب.
- بعد هذا الذي قلته؟
- نعم. ضعي هذا الحديث جانباً.
- كما لو أني استطيع.

ـ حسناً . . . تذكريه اذن . فقط لا تخططي اي شيء ليوم غد، لانني سآخذك الى جينيفرا.

ـ جينيفرا؟ اين هذا المكان؟

ـ انه خليج صغير، على مسافة من هنا، ولا يمكن الوصول اليه الا عن طريق البحر. والشاطىء هادىء والمياه ضحلة. فكرت أنك قد تودّين تجربة الغطس.

ـ الغطس؟ شعرت صوفي باثارة خفيفة، يبدو الأمر مثيراً.

ـ انه كذلك.

كان ذاك صوت بيرز، واستدارت صوفي نحو الباب لترى انه دخل الغرفة للتو.

ـ هل كان والدي يخبرك عن نزهة الغد المقترحة؟

ـ انت تعلم؟

ـ طبعاً.

ـ اوه، فهمت. فجأة فقدت النزهة المقترحة شيئاً من جاذبيتها. هل ستأتي انت أيضاً؟

اجابها بمرح:

ـ حاولي ان تمنعيني. لا استطيع الانتظار لاجعلك تشاهدين ما يوجد تحت الماء.

هزّت صوفي رأسها وابتسمت ابتسامة طفيفة وشعرت بعيني ادج تحدّقان فيها. لم يكن لحديثهما علاقة بقراره ان يأخذها في نزهة. ولا شك أنّ والده هو الذي اقترح الأمر. فهو أيضاً اراد ان يبقيها بعيدة عن هوارد.

جاءت احدى الخادمات الى باب الردهة وقالت:

ـ السيد فليمنغ هنا يا سيد آدج جاء من اجل الآنسة ايف.

ـ اطلبي منه ان يدخل يا راكيل.

أمرها آدج بهدوء وهو يطفىء سيكاره في منفضة عاجية:

ـ هل تتناولين شراباً قبل ان تخرجي يا ايف؟

لم يتسع الوقت لصوفي كي تجيبه، فقد دخل هوارد فليمنغ الغرفة. وبدا أنيقاً وجذاباً وهو يرتدي بدلة بنية غامقة وغاير منظره المتأنق، منظر آدج

المتعب من جراء السفر لكن مع ذلك، فلو انها كانت صادقة مع نفسها لاعترفت بانها تفضل البقاء في المنزل تلك الامسية، على قضاء أمسية وجهاً لوجه مع رجل توقّع يوماً ما أن يتزوّج جينيفر. . .

وعلى غير توقعها، تمتعت صوفي بالامسية. أخذها هوارد الى ناد ليلي في بورت اوف سبابن، وبعد عشاء شهي تفرّجا على الراقصين واستمعا الى المزيد من الموسيقى التي كانت الفرق تتمرن عليها استعداداً للكرنفال المقبل. كان الجو مفعماً بالاثارة الطليقة التي لم تترك احداً من دون ان تؤثّر فيه، ووجدت صوفي نفسها تتمايل مع الموسيقى وتتمنى ان ترقص على انغامها. وحسدت النساء اللواتي كن يرقصن ويتمايلن مع الالحان بانسجام تام وتساءلت عما يمكن ان يفكر به هوارد لو أنها تخلت عن انضباطها وحذت حذوهن. شعرت بأنه لن يوافق، فمع انه بدا رجلاً طرباً ودوداً شعرت فيه بشيء من الانقباض يقضي على اي اندفاع في التصرف. كان شعورها هذا حدسياً وتساءلت اذا كان لهذا الشيء علاقة في طريقة تصرّف جينيفر في السابق.

ثم عادا الى المنزل وهما يتنسمان هواء الليل العليل، وأشار هوارد الى الأنوار المتلألئة التي ظهرت في البعد. كانا قد تحدثا كثيراً ذلك المساء، أحاديث بسيطة عن الموسيقى والافلام، وكتب تمتّعا بها، ولكنّها ظلاّ صامتين في طريق العودة وتساءلت صوفي عما كان يدور في ذهن هوارد. كانت هي مشغولة بمشاريع الغد، ولم تستطع أن تنكر شعور الاثارة الذي اكتنفها لدى التفكير بها. ورفضت ان تفكر بما قاله آدج وادركت انه لو شكّ في هويتها لكشف الأمر.

عندما اوقف هوارد السيارة في باحة المنزل أطفأ المحرك والتفت نحوها قائلاً:

ـ لقد استمتعت كثيراً بهذه الامسية يا ايف. أرجوك قولي انك ستأتين الى كومالي غداً!

انكمشت صوفي جانباً بقدر ما تستطيع وهزّت رأسها معتذرة، وقالت له:

ـ اخاف ألاّ أستطيع.

وكانت مسرورة لأنها لم تضطر الى الكذب وأردفت:

ـ خالي... خالي وبيرز سيأخذانني للابحار غداً.
ـ آدج؟
قطب هوارد حاجبيه مندهشاً:
ـ فهمت أنه سيقضي النهار مع جانين.
ـ جانين!
ـ بالتأكيد. طبعاً لاحظت كيف هي الأمور بينهما.
حبست صوفي انفاسها وسألته برقة:
ـ كلا، كيف هي؟
تنهّد هوارد، ومرّر أصابعه حول مقود السيارة
ـ حسناً. أعتقد بأنهما سوف يقترنان يوماً ما. ليس هناك من داع للعجلة. فهما يعرفان بعضهما منذ مدّة طويلة.
وتمنّت صوفي الاّ تظهر صدمتها:
ـ انا... لم أعلم.
هزّ هوارد كتفيه:
ـ الأمر معروف هنا. وأعتقد أنّ احداً لم يجد من الضروري ابلاغك الأمر. ولكن منذ وفاة جيري...
ـ جيري؟
ـ جيرالدين، زوجة آدج.
ـ اوه فهمت. أخشى أنّ معرفتي للعائلة محدودة.
ـ لا بد أنها كذلك.
أومأ هوارد برأسه وتابع:
ـ وبالطبع لا أحد يتحدّث عنها كثيراً هذه الأيام. فقد مضت عشر سنوات على وفاتها.
فتحت صوفي فمها لتسأل مزيداً من الاسئلة عن جيرالدين المجهولة ولكنها أغلقته ثانية. لم يكن الأمر يعنيها خاصة عندما فكرت أنّ لا مكان فعلياً لها في هذه العائلة. ولكنها لم تتمكّن من تناسي الأمر كلياً فقالت تحثه على الحديث:
ـ قلت... منذ أن توفيت جيري.

ـ ماذا؟ قطب هوارد، اوه، نعم، منذ توفت جيري، لازمته جانين كخياله. وكانت بعمرك طبعاً، اكثر بقليل من فتاة صغيرة عندما ترمّل آدج، ولكنها أحبته دائماً وأعتقد أنّ آدج يفهمها.
شعرت صوفي بشيء من الغثيان. فالشراب الذي تناولاه لم يناسبها كثيراً.
ـ حسناً، عليّ ان اذهب.
ـ ألن تغيري رأيك بالنسبة الى يوم غد؟
ـ لا أستطيع.
قالت صوفي وهزت رأسها بالنفي.
ـ حسناً. سأتصل بك، بعد بضعة أيام. ربما نستطيع تحديد موعد مناسب لنا.
تخاذلت صوفي ولم تجبه وفتشت عن مقبض الباب وفجأة فتح الباب وخرجت لتجد أنّ هوارد استدار حول السيارة وفتح الباب لها.
ـ عمت مساء.
وانطلقت نحو البيت.
ـ تصبحين على خير يا ايف.
ما ان دخلت المنزل حتى جاء براندت لملاقاتها قائلاً:
ـ أهلاً، هل تمتعت بهذه الامسية؟
ـ كثيراً، شكراً لك.
كان صوت صوفي ضعيفاً ونظر براندت اليها بحدّة.
ـ ما الخطب؟ تبدين شاحبة، واسودّت عيناه، هوارد لم...
ـ هوارد لم يفعل شيئاً. فقط أشعر بانزعاج قليل، هذا كل شيء. المأكولات غنية بالتوابل على ما اعتقد.
ـ هاه.
بدا براندت غير مصدّق.
ـ حسناً ادخلي الردهة وتناولي بعض الشراب قبل الذهاب الى غرفتك.
كادت صوفي ان ترفض لكن صورة غرفتها الهادئة جعلتها تغيّر رأيها. فهي لم ترد ان تراجع نفسها كثيراً في تلك اللحظة. وسبقت براندت الى

www.elromancia.com

الغرفة الجميلة وارتاحت عندما وجدتها خالية. وجلست في احد المقاعد الوثيرة وعندما سألها براندت عما تود ان تشرب.

- بعض عصير البرتقال من فضلك.

- هل هذا ما تريدين ان تشربيه وانت تشعرين بانزعاج؟

- حسناً، لا اعتقد انه يكفي، أين الآخرون؟

- روزا وبيرز اخلدا الى النوم. وآدج لم يعد بعد.

وتمتمت صوفي الا تبدو فضولية:

- آدج خرج؟

- نعم. ذهب لزيارة عائلة فليمنغ.

بلعت صوفي ريقها بصعوبة وتناولت كأسها من براندت ونظرت اليها بتركيز.

- أخبرني، هوارد... أنّ آدج وجانين...

- اوه، هكذا؟ في الواقع يجب الاّ تهتمي كثيراً لما يقوله هوارد.

سألته صوفي بدهشة:

- لماذا؟

- تحاول عائلة فليمنغ الارتباط بعائلتنا منذ سنوات، حتى قبل والدتك، لا أتوقع ان يقترن آدج بجانين.

- ولكن لماذا؟ الا يحبها، هل هذا ما تريد ان تقوله؟

- لا دخل للحب في الموضوع. يا عزيزتي ايف، انك بسيطة جداً في بعض الأحيان! خلافاً لانطباعي عن النساء الصحفيات تعلمت شيئاً ما عن اولادي، وهو انهم لا يحبون ان يجبرهم احد على القيام بعمل ما. واذا ما قرر آدج ان يتزوّج مرة اخرى، وبصراحة لا ارى اي احتمال ان يحصل الأمر، فسوف يفتش عن امرأة بنفسه. وجانين ملحة كثيراً. وقد ذهبت معه الى توباغو.

شدّت صوفي قبضتها على الكأس.

- ولكن قلت للتو...

- حسناً، ربما اسأت التعبير. ذهبت الى توباغو على متن الطائرة ذاتها، ونزلت في الفندق ذاته.

- تعني، من دون دعوة؟

ابتسم براندت:

- ان جانين امرأة مصرّة جداً.

- اعلم ولكن...

- ولكن، انت لا تفعلين امراً مماثلاً؟

قال هذا منهياً حديثه. اجابته صوفي باصرار:

- في الواقع كلاّ.

- ربما لم تصادفي بعد الرجل الذي سيقلب عالمك رأساً على عقب. انا متأكد تماماً من أنّ والدتك كانت ستقوم بعمل فظيع لو أني منعتها من الذهاب مع والدك.

كانت هذه هي المرة الاولى منذ وصولها التي يتحدّث فيها عن هروب والدة ايف وتساءلت صوفي عما اذا كان وجودها هنا الآن يساعده في النظر الى المسألة بمرارة أقل. فاذا كان الامر كذلك، تكون قد حققت شيئاً ما على الأقل. لكن ما قاله براندت قضى على هذا الاعتقاد.

- انت لا تذكرينني بوالديك، فابوك كان انتهازياً.

أحنت صوفي رأسها وتجاسرت ان تقول:

- لقد... أحبّ والدتي، كما تعلم.

تنهد براندت:

- هل فعل؟ لكنه لم يسعدها. ربما لو أنها لم تمت عند ولادتك. لكانت الأمور تغيّرت. واحتقن صوته. ولكن فات الأوان الآن. علينا ان نحاول نسيان الماضي ونحيا الحاضر على أفضل وجه.

لم تعلّق صوفي على ما قاله. كان واضحاً أنّ حديثه عن ابنته يزعجه وتساءلت لأول مرّة عمّا كان يمكن ان يكون رأيه بايف. من كانت تشبه في تصميمها على الحصول لكل ما تريده؟ جنيفر، التي هربت من اجل الحب، ام جيمس، الذي تحدّى هذا الرجل المتعجرف ليتزوج المرأة التي اختارها. انهت كأس البرتقال ونهضت واقفة.

- حان وقت النوم على ما اعتقد.

أومأ براندت برأسه وكان تعبيره لطيفاً، وهمس وهي تمر امامه:

- حاولي الاّ تسيئي الظن بي.

توقفت صوفي لما شعرت من عذاب في صوته:

- اوه، ارجوك كما قلت، الامر كله من الماضي. لا يفيد ان يحقد المرء.

- شكراً لك يا عزيزتي. اذهبي الى النوم الآن، سوف تخرجين مع بيرز وآدج غداً، اليس كذلك؟

- هذا صحيح، وضغطت صوفي على ذراعه بلطف وهمست، تصبح على خير يا براندت.

وبحركة اندفاعية انحنت الى الامام وطبعت قبلة خفيفة على خده. لكن حتى قبل ان تعتدل في وقفتها شعرت أنهما لم يعودا وحيدين. رأت آدج يقف على عتبة الباب ينظر اليهما بامعان، ونظرة تهكم تغطي ملامحه الشديدة الجاذبية.

٦ - الآلام تكشف الحقيقة!

تلاطمت أمواج خليج جينيفرا برفق على الرمال المبيضّة من أشعة الشمس. كان المكان منعزلاً تماماً كما وصفه آدج تحوطه صخور عالية مغطاه بالطحالب التي بدت كأنها أعمدة قلعة قديمة. رمى المركب الشراعي على مسافة من المكان حيث وقفت صوفي وحيدة في تلك اللحظة. وفكرت في ما كان يمكنها أن تفعله لو أنّ آدج وبيرز لم يعودا لسبحهما. لم تعرف كيف تقود المركب الشراعي ولم يكن مزوداً بمحرك.

استدارت واستلقت على صدرها. بالتأكيد سوف يعودان. كان بيرز سيعلمها كيف تستخدم الانبوب الهوائي. لكنه ذهب مع آدج للغطس ناحية المياه قبل أن تقوم بذلك. وشكت صوفي في الامر. في اي حال، مضى على وجودها هنا اكثر من اسبوع، وعاجلاً أم آجلا كان عليها أن تبدأ

www.elromancia.com

في التفكير في العودة الى انكلترا. تجنبت ذكر الامر لبراندت لاسباب واضحة. لكنها اعترفت لنفسها بصدق أن فكرة المغادرة أصابتها بانقباض. لم ترغب في العودة فعدا عن جمال البيئة، أصبحت مولعة ببراندت وبيرز، لكنها لم تتحمل التفكير بمشاعرها تجاه آدج.

اعتدلت جالسة وركعت على ركبتيها وراحت تراقب حركات سرطان يشق طريقه بارتباك من الشاطىء. بدأت ترى أنّ هذه المهزلة التي دفعتها ايف الى القيام بها قد يكون لها ردود فعل من شأنها أن تقضي على أي أمل براودها بالسعادة. ونهضت واقفة محاولة بأن تدفع تلك الافكار بعيداً عنها كان دفء الشمس مثل البلسم لروحها المضطربة وبسطت جسمها بغنج ولم تلاحظ أنّ أحداً يراقبها إلاّ بعد فوات الاوان. كان آدج قد خرج من المياه ووضع قارورة الاوكسجين في المركب.

هوت ذراعاها الى جانبيها وانحنت تنفض الرمال عن منشفتها تحاول فعل أي شيء يجنبها هذا الشعور المجنون الذي انتابها، وكان يدفعها الى النظر في عينيه والاعجاب بجسمه وهو يرتدي مايوه سباحة ازرق. تقدّم منها بصعوبة وهو لا يزال يضع الخفاقين في قدميه وتمكنت من اخفاء ارتباكها بأن ضحكت وسألته بمرح:

ـ تبدو كطائر البطريق.

ونظر الى قدميه بمرح:

ـ لدي مثلهما لك ايضاً. وهاك القناع وانبوب الهواء. هل تظنين أنك تستطيعين وضعهما؟

جلست صوفي على الرمال ثانية:

ـ سأحاول، أين بيرز؟

ـ سيعود قريباً. يعلم أنني تركته.

أومأت صوفي وبدأت تضع قدميها في الخفاقين. كان الامر سهلاً، لكن عندما حاولت النهوض كان الامر أصعب مما ظنت. جهدت في الاّ تدوس خفاقاً باخر وهي تحاول الوقوف وبعد أن راقبها آدج لفترة، انحنى ومدّ يده اليها. أخذتها صوفي وسحبها بقوة، ثم تركها فوراً. ناولها قناعه قائلاً

ـ والآن! ضعي هذا على أنفك، هكذا.

وساعدها في ذلك.

ـ هاك انبوب الهواء. اترين. هذه القطعة تضعينها على فمك والانبوب مركز على قناع الوجه... انتهينا.

اومأت صوفي برأسها. وجرّبت وضع القطعة المطاط في فمها. أخرجتها ثانية وكشرت:

ـ انها كبيرة جداً. اليس كذلك؟

ـ ليس كثيراً، لكنك عصبية قليلاً، هذا كل ما في الامر.

كان آدج صبوراً اكثر مما توقعت صوفي:

ـ والآن، حاولي مرة اخرى. أترين هذه الكرة عند طرف أنبوب الهواء؟ ما دمت تتنفسين بصورة طبيعية فانها تبقى في مكانها. لكن اذا هلعت تقطع عنك الهواء وعليك أن تعومي بسرعة افهمت؟

ـ كيف اعلم بالامر.

ـ اوه، ستعلمين. هل نجرّبها؟

كانت المياه دافئة جداً قرب الشاطىء لكن صوفي وجدت نفسها ترتجف من الخوف.

ـ استرخي ليس هناك ما يخيف.

ـ انا... اعلم.

تفحصت صوفي فم الانبوب قبل أن تضعه في فمها:

ـ ولكن ماذا ستفعل انت؟ ظننت أنك ستأتي معي لكن لا معدات معك؟

ـ انني قادم معك ولن أحتاج اليها.

اكّد آدج الامر لها ومرر يده عبر شعره بلا مبالاة وأضاف:

ـ والآن، ابدأي السباحة. حاولي أن تغطسي تحت صفحة المياه. ابقي وجهك ناحية أسفل وتنفسي بصورة طبيعية.

فعلت صوفي كما قال لها. لم يكن الامر سيئاً في البداية. ركزّت على تنفيذ تعليمات آدج كما أخذتها ألوان البحر الرائعة والحياة البحرية في العمق. سبحت سمكات صغيرة بالقرب منها واندفعت عبر صخور مرجانية عكست ألوان الشمس والمياه المتعددة. شعرت بآدج يسبح قربها وكانت

مطمئنة.

ولكنّه تقدمها قليلاً وعندما أدركت صوفي أنها وحيدة حركت قدميها بسرعة أكبر كي تلحق به. ولسوء حظها اندفعت أكثر نحو القاع، وانسد انبوب الهواء وامتلأ فمها بالمياه المالحة. وهلعت للحظة وطفت وهي تتخبّط في الماء وتسعل محاولة أن تلتقط أنفاسها.

وبدا وكأنما آدج أصبح قربها فوراً، تحدّث اليها يطمئنها ونزع القناع وأنبوب الهواء عن وجهها وسألها عندما بدأ تنفسها ينتظم:

ـ اترين أن تعودي؟

لكن صوفي هزّت رأسها نفيا:

ـ أنا على ما يرام الآن.

همست بعدم ثبات واستدارت ونظرت اليه تسأله:

ـ هل... هل تساعدني في وضع القناع ثانية؟ لست متأكدة تماماً كيف اضعه.

أومأ ادج برأسه موافقاً واقترب منها وقال باقتضاب:

ـ ضعي يديك على كتفي. لا أستطيع تثبيته عليك اذا استمريت في الابتعاد.

وضعت صوفي يديها على كتفيه ووضع القناع بسرعة في مكانه وناولها فم الانبوب وابتسمت صوفي قائلة:

ـ شكرا لك، آسفة لاني كنت بلهاء.

ردّ عليها آدج بشيء من الحدة:

ـ لم تكوني بلهاء: تنقصك الخبرة، هذا كل شيء.

رفعت صوفي كتفيها ووضعت رأس الانبوب في فمها وتنفست بعمق وبدأت تسبح مجدداً. بقي آدج قريباً منها هذه المرة. لكن بعد مرور ربع ساعة أشار عليها بالعودة. أرادت صوفي أن تحتج إلاّ أنها لم تجسر. وسبحت وراءه طائعة، الى أن وصلا الشاطىء وسارا خارج المياه. كان بيرز قد عاد وفتحت صوفي حقيبة الغداء التي حضرتها فيوليت لهم. تكوّن الغداء من الدجاج والسلطة والبطاطا الحلوة والفواكه والمرطبات التي وضعها بيرز في المياه قرب المركب كي تبرد. بعد الغداء استرخى بيرز لفترة قصيرة ثم سار

نحو المركب ليتسلى، وبقيت صوفي وحدها برفقة آدج.

ظنت أنه كان نائماً لكن عندما نهضت لتمد منشفتها فتح عينيه ورفع نظارتيه السوداوين على جبينه. سألته صوفي معتذرة:

ـ هل ازعجتك؟ لم اقصد...

هزّ ادج رأسه بكسل:

ـ لم أكن نائماً!

ـ اوه. حسناً.

عادت صوفي الى الاستلقاء ثانية. ولامست يد آدج جانبها لا ارادياً فابتعدت فاوضح تصرفه هذا:

ـ حاولت ابعاد...

فتخضبت خجلاً وكان ردّ فعلها مبالغاً به فشعرت بالارتباك وقالت:

ـ لم... لم أعلم ما الذي لمسني هذا كل شيء، لقد فوجئت.

ـ هل فاجأتك؟ اني آسف.

لكن نبرته التهكمية كانت واضحة، وعادت صوفي تتأمل المحيط وكتفاها محدودبتان وعلّق آدج:

ـ نسيت كم أنت حساسة فيما يخصّني.

أطبقت صوفي قبضتيها وهتفت بغضب من دون أن تنظر اليه:

ـ اوه، لا تطري نفسك! لن أفقد الوعي فقط لان ادج سانت فينسنتي وضع يده علي!

تمدّد آدج بارتياح على الرمال الدافئة وقال معلقاً بلطف:

ـ لا أدري ما قصدك.

ـ بل تدري.

ووضعت يدها تحت ذقنها واوضحت قائلة:

ـ لا بد أنّ التأثير الذي لك على بعض النساء هو أمر ملاحظ، وأنا واثقة من ذلك.

ـ من يلاحظ ذلك؟

ونظرت صوفي اليه ببرود:

ـ انت بالطبع.

نزع آدج نظارتيه ونظر اليها متفحصاً:

ـ بصفتك ابنة اختي، تشعرين اني مغرور، هل هذا ما في الامر؟

تردّدت صوفي، مدركة تورّطها التدريجي في الحديث:

قالت وكأنها تخاطب نفسها:

ـ اوه... هل يهم الامر.

ـ نعم أعتقد ذلك.

وضع ادج نظارتيه جانباً وتمعّن فيها بعد أن اشاحت بوجهها بعيداً عنه. وقال:

ـ أريد أن اسمع المزيد عن رأيك الذي كونته عني. هل أنت متأكدة بأنك موضوعية؟

غرست صوفي أصابعها في الرمال:

ـ لا موجب لبحث الامر أكثر.

ـ الا تفهمين أنني أريد أن اسمعك، فانت تحيّرينني. كيف يمكن لشخص في وضعك أن يعلم اذا كانت النساء تجدنني جذاباً أم لا.

تمنّت صوفي لو أنها لم تقل شيئاً عن هذا الموضوع:

ـ انه امر واضح.

ـ هكذا؟ أخبريني المزيد!

هزّت صوفي كتفيها بيأس:

ـ انك تعيد الكرّة اليس كذلك! أقصد، تتعمد ازعاجي.

ونظرت نحو الشاطىء الى حيث كان يبرز في المركب يعالج شيئاً ما في الاشرعة.

ـ من حسن الحظ أنّ ابنك لا يستطيع أن يسمعك.

مال آدج برأسه الى الجهة الاخرى متحدياً:

ـ لماذا؟ ما الذي قلته ولا يجوز أن يسمعه؟

هزّت صوفي رأسها، غير قادرة على التفكير في أية اجابة. ونظرت اليه. ومن هذه المسافة القريبة استطاعت أن ترى النقاط الصفراء في عينيه العسليتين ورموشه الطويلة الكثيفة، وعضلات فكيه القوية. كان شعره داكناً في الشمس وزاد سالفاه في سمرته. فغرت فاها عندما اصبحت

نظراته أشدّ تركيزاً واضطرت الى أن تنظر بعيداً وهي تكاد تكون مصدومة من المشاعر التي حرّكها فيها. وشعرت بعصبية عندما أحسّت باصبعه يلامس بشدة يدها لكنها لم تقل شيئاً.

ـ لقد اصبحت سمراء. وهذا يلائمك.

بلعت صوفي ريقها بعد أن استعادت هدوءها:

ـ ما الذي تحاول ان تفعله يا خالي آدج؟ تبيّن لي خبرتك بالنساء؟

اسودّت عينا آدج غضباً وامسك بذراعيها بقوة:

ـ انتبهي... يا ايف! ربما تزعجني هذه الامور أقلّ مما تزعجك!

ـ ماذا تقصد؟

ـ اعني انك قد تحصلين على اكثر مما راهنت عليه عندما أتيت الى هنا.

ـ أنت... انت لا تستطيع أن تخيفني.

ـ لا استطيع؟ اعتقد أني استطيع، بل أنا متأكد من ذلك.

ـ اترك ذراعي! انك تزعجني.

ـ صحيح؟

لمعت عينا ادج بصورة خطرة:

ـ لا تقولي لي ما علي عمله!

ـ لم لا؟

لم تعرف صوفي ما الذي كان يدفعها لأن تخاطبه بمثل تلك الطريقة. علمت أنها كانت تخاطر لكنها شعرت بالاثارة لعلمها أنها قادرة على اثارة أعصابه ولو بصورة طفيفة. نهضت واقفة لكنها تعثرت ووقعت على الرمال. أمسك بها بعنف وشعرت بالخوف وأصبح تنفسها سريعاً وغير منتظم. تنهّدت بعمق وشعرت بقبضته تفلتها. وقف آدج ونظر اليها بغضب ثم استدار بعيداً وبدا عليه الاحتقار ولم تعلم اذا كان يحتقر نفسه أم يحتقرها هي. استلقت صوفي على الرمال مشدوهة بالمشادة التي حصلت لكن بدا واضحاً أنّ آدج ملّ رفقتها اذ سار بعيداً عنها نحو المركب وجعلها تشعر بوحدة لم تشعر بمثلها قبلاً.

صار لدى صوفي الوقت الكافي خلال اليومين التاليين لتفكر بأحداث ذلك النهار الكارثة. بعد أن قرر آدج رغماً عن والده أن يقود المركب المأجور

www.liilas-romancia.com

الذي سيبحر في اليوم التالي في رحلة صيد تستغرق يومين، وكان بيرز متشوقاً جدا لمرافقته. ومع أنّ رجل أعمال من فنزويللا وزوجته استأجرا اليخت قبل اسبوع، أدركت صوفي أنّ آدج قرّر الذهاب فقط كي يتجنبها. أقنعت نفسها بانها سعيدة لذهابه، وبأنّها ستتمتّع في غيابه لكنها ادركت أنها تخدع نفسها. فعلى رغم ما حدث بينهما، شعرت بنفسها مجذوبة نحوه أكثر فأكثر، على الاقل فكرياً. ومرّت لحظات في طريق عودتهم من خليج جينيفرا عندما شعرت بأنها تريد أن تذهب اليه وتعتذر عن تصرفاتها وتطلب الغفران. لكنها بالطبع لم تفعل، وها هو الآن يتركها وحيدة مرة ثانية.

في غياب بيرز، أمضت صوفي وقتاً أقلّ في السباحة، وأخذت تطوف في أرجاء المنزل الانيق على غير هدى. علمت أنّ عليها مفاتحة براندت في موضوع مغادرتها. ومهما يكن من أمر، عليها ابلاغه. فقد كان من الأفضل لها مغادرة المكان والابتعاد عن آدج الذي كان يشوّش أفكارها. فالحرية التي شعرت بها هنا جعلتها تتوّهم أموراً كثيرة. وأملت في أنّ الرجوع الى ساندتشيرش، وتنظيم أمور عملها، سينسيانها كل هذا الاندفاع الساذج الذي شعرت به تجاه رجل ظنّ انها ابنة اخته.

في صباح اليوم الذي غادر آدج وبيرز المنزل، تناولت الافطار مع براندت وهو حدث غير عادي لكن براندت هو الذي رتّب الامر على ذلك النحو بسبب غياب الآخرين. وشعرت صوفي أنّ الوضع ملائم جداً، وببعض التردد ذكرت أنها استفسرت عن الطائرة المغادرة الى انكلترا. لكنها، لم تكن مستعدة لردود فعل براندت. فقد دفع كرسيه الى الوراء ووقف امامها بعصبية ويداه تقبضان على جانبيه. وقال بجفاف:

ـ لا يمكن أن تكوني جادة.

طرفت عينا صوفي:

ـ لم لا؟

ـ لم لا؟ لم لا؟ لأنني لن أسمح بذلك، هذا هو السبب.

حاولت صوفي أن تبقى هادئة:

ـ براندت، يجب عليّ أن أغادر.

انحنى الى الامام ووضع يديه على الطاولة أمامه ونظر اليها نظرة ثاقبة.

ـ منذ بضعة أيام فقط سألتك أن تفكري في البقاء هنا لمدة سنة، والآن تأتين اليّ بعد أقل من اسبوعين على وجودك هنا لتخبريني بهدوء انك استفسرت عن الطائرات المغادرة! كيف تتوقّعين أن يكون ردّ فعلي على هذا الامر؟

شعرت صوفي بفيض من المحبة، فقط لو كان بامكانها أن تخبره كم ترغب في البقاء لكنها أجبرت نفسها على قول ما كانت ايف تتوقّع منها أن تقوله واحتجت تجاه ذاتها!

ـ لكن يا براندت، خطّطت للبقاء لمدة اسبوعين أو ثلاثة اسابيع فقط.

ـ لكن هذا حدث قبل أن نلتقي... قبل أن يعرف أحدنا الآخر. ظننت وخيل اليّ، ربما عن سذاجة أنك بدأت تحبين الاقامة هنا... انك تحبينني!

حدقت فيه صوفي باستسلام. ثم هتفت متأثرة:

ـ اوه يا براندت، انني أحبك وانت تعلم ذلك. لقد كنت لطيفاً جدا معي. سأفتقدك كثيراً.

ـ اذن لا تذهبي، الامر بهذه البساطة.

ـ كلا، انه ليس كذلك.

احتارت صوفي كيف تفسر له الامر من دون ان تؤذي مشاعره؟

ـ لا استطيع التخلّي عن عملي لمدة سنة وبالتالي أتوقّع متابعته من دون مواجهة مصاعب جمة.

ـ نعم، في الواقع، هذا ما ينبغي علينا التحدّث عنه، اليس كذلك؟

قطبت صوفي حاجبيها:

ـ لا افهم.

ـ الان يا ايف، دعينا لا نتظاهر بأننّا لا نفهم. علمت عندما أتيت الى هنا بأنني سأفعل ما في وسعي لابقيك هنا حتى لو تطلّب الامر تأسيس وكالة صحافة خاصة بك، فأنا على استعداد للقيام بذلك.

دهشت صوفي. وفجأة تذكّرت أمراً آخر قاله براندت في السابق، عن أنه مستعد أن يساعدها! ولكن ابمثل هذه الطريقة؟ لم يبد ما قاله مهمّاً

وقتئذ. لكن صوفي وجدت نفسها تتساءل عما قالته ايف لها عن ذهابها، الى ترينيداد؟ ولماذا لم تذكر لها شيئاً. بالطبع كان الجواب عن ذلك جلياً. فلو أنّ صوفي أحسّت أنّ في الامر ما يتعدّى قضية الاسترحام الذي أبدته ايف لها، لكانت رفضت المجيء، وكانت ايف تدرك ذلك. ولكن هل يعقل أن تكون رغبة ايف ألاّ تخيب أمل جدها دافع مادي؟ كانت الفكرة رخيصة وغير مستساغة، وتساءلت صوفي عن الورطة التي أوقعت نفسها فيها. والامر الوحيد الذي تستطيع أن تفعله الآن هو ان تبرق لايف تطلب منها أن تكتب وتخبرها عما كانت تتأمل ربحه من خداعها هذا.

فجأة ادركت ان براندت كان لا يزال ينتظر اجابتها، وهزّت رأسها بشيء من الدهشة وقالت:

ـ لا أتوقع منك أن تفعل شيئاً من هذا القبيل انا... انا لا أمانع في البقاء صدقني. الامر هو... انني يجب أن اعود.

ـ لكن ليس بعد اسبوعين!

أزاحت صوفي خصلة من شعرها خلف اذنيها:

ـ حسنا. ربما أستطيع ان ابقى... ثلاثة اسابيع.

ـ اربعة!

ـ انا لا أقايض معك.

ـ ولكنك ستبقين لمدة شهر أليس كذلك؟

ندمت صوفي على موافقتها البقاء طوال النهار. في أي حال، كانت فترة الاجازة التي حصلت عليها لا تزيد عن ثلاثة اسابيع على أبعد تقدير. وهناك مشكلة التفكير بايف. كان عليها الذهاب الى بورت اوف سباين وارسال البرقية بطريقة ما من دون أن ينتبه أحد. ويمكن لايف أن تكتب اليها رسالة من دون أن تخاف فضح أمرها. لكن من الصعب عليها ارسال برقية موجهة اليها عن طريق شقة ايف في لندن من دون اثارة الكثير من الشكوك.

عاد آدج وبيرز ذلك المساء بينما كانت صوفي وبراندت وروزا يتناولون طعام العشاء على الشرفة. واتجها نحوهم ليعلنا عودتهما ولم تستطع صوفي أن تنكر شعور الطمأنينة الذي انتابها عندما علمت أنهما عادا الى المنزل

سالمين. بدا آدج جذاباً وكسولاً وهو يرتدي سروالا مبللاً وسترة مفتوحة حتى الخصر وذقنه غير حليقة. سألهما براندت وهو ينهض ليرحب بهما:

ـ هل سار كل شيء على ما يرام؟

أجاب بيرز بحماس:

عظيم! واصطدنا سمكة باراكودا كبيرة الحجم!

استمع آدج الى ابنه يتحدّث بحماسة وبدا صبوراً في اصغائه. ولم تكن هذه المرة الاولى التي لاحظت فيها صوفي الحب العفوي الذي كان بينهما، وشعرت بوخزة حسد. وقال آدج موافقاً بهدوء:

ـ كانت رحلة ناجحة الى حدّ معقول.

ـ اصطدنا الكثير من الاسماك الصغيرة وسمكتين كبيرتين. وعدا عن وقوع ماريا من المركب سار كل شيء على ما يرام.

انقبض كتفا براندت:

ـ من وقع عن ظهر المركب؟

ـ ماريا زوجة دييغو. أثارتها سمكة الباراكودا الى حدّ كادت أن تمسي وجبة طعام للسمكة وليس العكس.

استمعت صوفي الى حديثه بغيرة. كان يمكنها أن تعلم بأنّ هناك امرأة دائماً في عالم ادج. كان براندت مهتماً فسأل:

ـ وهل هي بخير؟ ألم تصب بجروح؟

هزّ بيرز رأسه نفياً:

ـ اوه، كلا! غطس والدي في المياه وانتشلها. كانت غلطتها هي. غضب زوجها جدا، أليس كذلك يا ابي؟

هزّ آدج كتفيه بعدم اكتراث:

ـ لا بأس عليها. لم تصب بأذى. فقط تبللت واضطربت. هذا كل شيء، ونظر الى صوفي متعمداً وأكمل، تميل النساء الى الخوف، لسوء الحظ.

نظرت صوفي الى السرطان الذي جثم في صحنها. وفقدت شهيتها بسرعة وأنبّت نفسها لأنها كانت تكترث لأي شيء يقوله أو يفعله آدج. لماذا لم تستطع أن تنظر اليه كما نظرت الى براندت أو بيرز؟

فهي أحبّت كليهما وهما بالتالي أظهرا لها المودة ذاتها، اذن لماذا يتميّز آدج عن غيره؟

اعترفت أنها شعرت بوجوده على نحو لم تكن تعهده منذ لقائهما الاول في بورت اوف سباين.

أراد براندت أن يعرف المزيد عن الرحلة، آدج اعتذر لاضطراره الى الاستحمام وتبديل ملابسه. وعاد براندت الى الطاولة وهز رأسه وهو يعود الى تناول طعامه.

ـ تصوّروا ذلك. وقعت عن ظهر المركب بالفعل! دائماً أقول ان النساء على متن المراكب المأجورة هنّ اخبار سيئة!

تظاهرت صوفي بأنها منكبّة على التهام طعامها لكنها تشوّقت الى معرفة المزيد عن المرأة الفنزويلية وسألته بعفوية مقصودة:

ـ أتعرف هؤلاء الناس؟

قطب براندت حاجبيه وأجاب:

ـ آل دييغو؟ في الواقع، لا اعرفهم شخصياً. لكنني أعرف أنّ رافاييل يعمل في مجال النفط، مثلنا. تعامل آدج معه في السابق. لماذا؟

ـ كنت اتساءل فقط هل هم... اعني... هل هم اصدقاء له؟

ـ اتعنين اصدقاء آدج؟ ولكنهما ليسا من جيله.

لم تستطع صوفي الآ أن تتنهد بارتياح:

ـ اوه، اعتقدت... تصورت أنهما أصغر سناً.

ـ لأن ماريا دييغو وقعت؟ أوه انها لاتينية يا عزيزتي تثور بسرعة، وأعتقد انها فقدت توازنها اثناء الصيد.

اومأت صوفي رأسها:

ـ اعتقد ذلك.

عندما عاد آدج وبيرز اكدت فيوليت لهما أنها لم تنسهما. تركت صوفي براندت يتحدّث اليهما وانضمت الى روزا في الردهة. وسرعان ما حضر براندت لكن قبل أن ينتهوا من تناول القهوة سمعوا صوت سيارة تقترب من المنزل. بدا براندت نافد الصبر وأحسّت صوفي أنه اعتقد القادم هوارد فليمنغ لا محالة. لكن الخادمة جاءت وقالت إن الانسة فليمنغ قد جاءت.

دخلت جانين فليمنغ الغرفة وبدت سمراء واخّاذة وهي ترتدي ثياباً مرقطة. وبعد أن حيّت براندت وشقيقته، ابتسمت لصوفي ببرود وقالت:

ـ لكن اين ادج؟ اعتقدت أنه سيعود هذا المساء؟

اقترح براندت عليها أن تتناول كأساً من الشراب وقال لها:

ـ لقد عاد. لكنهما تأخرا عن موعد العشاء. سينضم الينا قريباً.

ـ اوه. فهمت.

نظرت جانين حولها واخيراً قرّرت ان تجلس قرب صوفي على الاريكة الطويلة الوثيرة:

ـ وعدته أن أحضر حالما يعود.

فكرت صوفي بالخساسة في تصرف جانين اذ هي لم تضيّع أي وقت، في أي حال، كان لجانين كل الحق في أن تكون حيث هي.

جاء آدج بعد دقائق وهبّت جانين واقفة ترحب به:

ـ اهلا، يا حبيبي هل كانت رحلتك موفقة؟

ذهب آدج ليحضر لنفسه شراباً، رافضاً شرب القهوة التي عرضتها عليه عمته، ورافقته جانين. تحدّثا معاً بصوت هامس في الزاوية ثم استدار آدج وقال انهما قررا الذهاب الى بورت اوف سباين لتمضية السهرة.

ـ فكرة جيدة.

هتف براندت بحماسة غير منتظرة وأضاف:

ـ ولم لا تأخذ ايف معك؟ فهي أمضت يومين مملين عندما كنت أنت وبيرز بعيدين.

أنا متأكد انها ستتمتع بالخروج هذه الليلة.

ارتاعت صوفي وبدأت تتكلم:

ـ اوه حقاً، اني مسرورة في البقاء هنا.

ـ هراء! يمكن لبيرز أن يذهب وهكذا تكونوا أربعة.

ـ بيرز أخلد للنوم.

قال ادج بجفاف وأضاف:

ـ كان متعباً. لذا لن يذهب الى أي مكان. ولكن اذا ارادت... ايف أن تنضم الينا...

قالت صوفي باصرار:

ـ كلا كلا، شكراً لك. افضّل الاّ اذهب. ثم انني أحس بصداع.

بدا الارتياح ظاهراً على جانين. لكن آدج لم يقتنع بحجتها البسيطة. وزفر براندت بنفاد صبر وقال:

ـ هواء الليل سيريحك من الألم!

ـ كلا، هزت صوفي راسها نفياً، شكراً لكما في أي حال.

وتنفست جانين بسهولة اكثر:

ـ حسنا، سوي الامر اذن، هلاّ نذهب؟

سألت آدج وبدا عليها أنها منشوقة لابعاد آدج قبل أن يقترح والده أمراً آخر.

أومأ ادج برأسه وقال وهو يشرب الشراب.

ـ لم لا؟

ثم نظر اليها وشعرت صوفي بألم حاد كالسكين في معدتها.

نامت باكراً تلك الامسية، قرابة العاشرة لكنها لم تستطع أن تغفو. واستمرت تفكر بآدج وجانين وهما يمضيان الامسية في مكان ما متعانقين. وهذا الفكر سرق النوم من عينيها. وأخذت تدرك أن موافقتها على البقاء اسبوعين آخرين ستجعل الامور أشدّ قساوة. فلم يعد ينفعها نكران الامر. فقد أدركت أنها تحب آدج، ولم يكن في وسعها أن تفعل شيئاً حيال هذا الامر.

٧ ـ عواطف خائفة

كانت صوفي لا تزال مستيقظة قرابة منتصف الليل، انسلت من السرير وارتدت معطفاً حريرياً قمحي اللون ناسب قميص نومها. وسارت نحو الباب وخرجت الى الشرفة.

كان هواء الليل بارداً ومفعماً برائحة طيبة، وسمعت صوت تلاطم الامواج على الصخور فشعرت بحنين مفاجيء لأن تكون قرب الشاطيء لتشعر برذاذ المياه المالحة على وجهها. واستدارت وعادت الى الغرفة ولبست صندالاً خفيفاً وفتحت باب غرفتها. كان البيت ساكناً، ولم يعكر صفوه سوى دقات الساعة. ولم يكن آدج قد عاد بعد، لكنها لم تهتم للأمر. لم تتوقعه أن يعود قبل الفجر. هبطت الدرجات الحجرية نحو الباحة. بدت الحديقة غريبة وغير مألوفة في ضوء القمر، وتحوّلت ألوان الزهور الى لون

www.elromancia.com

فضي. وتذكرت قصيدة قرأتها للشاعر والتر دولامار كانت القصيدة عن ضوء القمر أيضاً، وقد دعاها فضة.

وعادت اليها كلمات القصيدة وهي تهبط الدرجات الى الرصيف:

في الليل... يسبح القمر
صامتاً بطيئاً
بريقه الفضي هالة
تغمر الفضاء
يلبس أغصان الشجر فضة
يتلفت ولا يرى سوى
الثمار والأزهار الفضية.

ناسبت الكلمات تلك الامسية الكئيبة. كانت قصائده دائماً تثير فيها ذلك الشعور بالخيال والغموض اللذين كانا جزءاً لا يتجزأ من طفولتها. هربت من عالم اكتظّ بالنساء المسنات وفتشت صوفي عن عزاء لها في القصص والاشعار، ربما كان ذلك الشعور القوي بعالم الخيال، هو الذي جعلها تهتم بالمسرح. وبالتأكيد كانت سنواتها الاولى وحيدة. وشعرت، وهي تقيم هنا في بوانتي سانت فينسنتي بأنها قضت جزءاً كبيراً من حياتها تتظاهر بأنها تعيش عوضاً من أن تحيا فعلاً. كان الجو أكثر برودة على الرصيف، لكنها رحبت به بعد النهار الحار. تلاطمت المياه على الصخور ونثرت رذاذاً أبيض لمع في ضوء القمر الذي أضفى تلك الليلة لوناً فضياً، انعكس على الصخور. وجعلها شعور العزلة تعود الى صعود الدرجات ثانية. وسمعت أصواتاً من اعلى. لم يكن هناك ضجيج محرك، لكن حفيف الدواليب القوي كان واضحاً ثم سمعت صوت اغلاق باب سيارة. لا بد أن آدج عاد بسرعة اكثر مما توقعت. توقفت عن الصعود. وأبعد وجوده على الاقل شعور الخوف الذي انتابها قبلاً. لم تعد تقوى على الصعود ومواجهته. قد يعتقد أنها تراقبه، ثم أي سبب معقول يمكنها أن تعطيه لتفسر وجودها على الرصيف في تلك الساعة من الليل؟ كلا، كان عليها أن تنتظر بضع دقائق وتعطيه الوقت الكافي للذهاب الى غرفته قبل أن تتجاسر وتدخل الى المنزل مرة اخرى. ارتعدت. اصبحت البرودة التي تلذذت بها

ساعة خرجت، قارصة الآن. وأحدثت أعصابها رعدة خاصة بها. ووجدت نفسها تتمنى لو أنها لم تترك غرفتها الآمنة نسبياً، حتى سريرها بدا أكثر جاذبية الآن.

واخيراً، عندما شعرت أنها ترتجف من شدّة البرد، صعدت الدرجات الحجرية بسرعة، محاولة أن تدفىء نفسها بعض الشيء. وحتى أنها شعرت بقدميها تتصلّبان ورؤوس أصابعها وقد جمدها الصقيع. كان المنزل مظلماً وتنهّدت تنهيدة ارتياح. عبرت الباحة وصعدت الدرجات المؤدية الى الشرفة. وأدارت مقبض الباب بثقة ثم تراجعت الى الوراء مذعورة. كان الباب مقفلاً من الداخل ولم يكن في امكانها الدخول ثانية. فوراً عاد الذعر الذي انتابها سابقاً بكل قوته. ماذا تستطيع أن تفعل الان؟ كيف يمكنها الدخول من دون أن توقظ أهل البيت؟ هدّأت من روعها وحاولت أن تراجع موقفها بهدوء. وبدا واضحاً أنّ الابواب كانت موصدة، لكن قد تكون نافذة ما مفتوحة. عليها أن تتحرى الامر. سارت عبر الشرفة وحاولت بتفاؤل أن ترى اذا كانت الابواب مفتوحة، لكنها كانت مغلقة أيضاً.

استدارت صوفي الى الناحية الاخرى، عابرة الباب المشبك ثانية وصعدت بضع درجات لتصل الى أبواب اخرى. وتلك أيضاً كانت مغلقة وضغطت أنفها بالم على الزجاج محاولة أن ترى الداخل. وعرفت أنّ الغرفة كانت مكتب براندت، وكادت أن تستدير وتبتعد بيأس عندما أمسكت يد قوية بذراعها. أجفلت من الخوف وأدّت تخيلاتها السابقة بها الى حالة من الهلع الهستيري وناضلت بعنف ولكن الصوت كان اليفاً وطمأنها.

فارتخت وارتخت كتفاها ونظرت الى وجه آدج المكفهر الذي بدا عليه اللوم.

همست وهي ترتجف:

ـ انا... انا لقد حبستني في الخارج.

ـ حبستك في الخارج؟

هزّ رأسه من دون أن يفهم ثم شعر ببرودتها تنسل عبر معطفها الى حيث قبض على ذراعها، ثم تمتم بعنف:

ـ ماذا تعتقدين أنك تفعلين خارج المنزل في مثل هذا الوقت من الليل؟

كان واضحاً أنّ سؤاله لا موجب له وسحبها معه وهو يخاطبها عبر الشرفة والباب المشبك. وتوقف لحظة كي يقفله ثانية، ثم سار بخطى ثابتة عبر القاعة المظلمة والى الردهة. وأغلق الباب وراءه وتركها وذهب ليشعل مصباحاً، ثم استدار يواجهها وقد اكتسى محياه الوسيم تعبير متجهم وسألها:

ـ حسناً؟ ماذا كنت تفعلين؟

لملمت صوفي أطراف ردائها. وتمنّت لو أنه يتوقف عن النظر اليها بتلك الطريقة المحتقرة وكأنها شيء غير مستساغ وجده على عتبة منزله. تنهدت بعمق وقالت:

ـ نزلت الى الرصيف. لم أستطع النوم ورغبت في السير. وعندما... عندما عدت كان الباب مقفلاً ولا بد أنك انت حبستني خارجا.

ـ ولماذا أنا؟

ـ لماذا، لأن... في الواقع. حيث أنك الشخص الوحيد المستيقظ فلا بد أن تكون انت.

ـ اوه حقاً؟

ـ في اي حال، كيف علمت أنّ الشخص الذي كان في الخارج هو انا؟

رفع آدج كتفيه ثم أرخاهما بحركة عفوية:

ـ لم أعلم. ولكن عندما يسمع أحد شخصاً ما يحاول فتح جميع الابواب والنوافذ يستنتج أنّ ذلك الشخص يحاول الدخول. انك لا تصلحين لمهمات سرية. فانت تحدثين الكثير من الجلبة.

ـ اوه، شكراً لك لأنك ادخلتني المنزل. أعتقد أنه من الافضل أن اذهب الى غرفتي وأنام الآن.

ـ انك ترتعدين من البرد. وأنت في حاجة الى ما يدفئك والاّ ستصابين بالنزلة الصدرية.

ـ اوه، لا، حقاً سأكون على ما يرام عندما أنام.

ـ ولكني اصر.

أعطاها شراباً وراقبها وهي ترشفه. كانت تضع يداً على ياقة ردائها

وتمسك بالكأس باليد الاخرى. وشعرت بضعف تجاهه، وتمنّت لو أنه يذهب ويجهز لنفسه كأساً. لو يفعل شيئاً ما عوضا من الوقوف امامها. جاء صوته ليقطع حبل تفكيرها:

ـ هل تشعرين بتحسن الآن؟

ـ اوه... أجل، شكراً لك، اني آسفة لانني ازعجتك.

ضاقت عينا ادج:

ـ يجب أن تخبري الناس عندما تنوين الخروج للتنزه في منتصف الليل. لربما لم أكن هنا لأدعك تدخلين، أو كان من المحتمل أن تتعرّضي لحادث.

ـ ماذا تعني؟

ـ انّ تلك الدرجات قد تكون خطرة خصوصاً في الليل. كان من الممكن أن تقعي أو تلوي كاحلك، وعندها ماذا كنت تفعلين؟

ـ لا ادري، وناولته كأس شرابها قائلة، لا أريد المزيد شكرا.

ـ انهي الكأس!

ـ كلا. أنا... انا لا احبه كثيراً.

ـ ليس القصد أن تحبي طعمه هذا دواء، وأنت تعلمين ماذا يقولون عن الادوية.

أخذت صوفي نفساً مرتجفاً وقالت:

ـ لا أستطيع أن اشرب المزيد منه.

نظر آدج اليها بامعان، وركّز بصره على وجهها وشفتيها.

وقال لها:

ـ اخبريني أليس هناك شاب متشوّق الى عودتك الى لندن؟

خطت صوفي خطوة الى الوراء وقالت:

ـ انا، لا أعتقد أنّ هذا من شأنك.

عبر آدج المسافة التي فصلت بينهما بثلاث وقع قائلاً:

ـ ولكنني مهتم.

قال لها ذلك وعيناه العسليتان تلمعان بشكل مثير. خطت صوفي خطوة اخرى الى الوراء ونظرت حولها بيأس كي تضع الكأس في مكان ما. واعترضت:

ـ انه من السخف أن نتحدّث بمثل هذا الامر في الساعة الاولى بعد منتصف الليل.

ـ اذن اجيبي على سؤالي.

خطت صوفي مرة اخرى الى الوراء واصطدمت بمقعد قريب من الباب، وقالت ترجوه:

ـ أرجوك توّقف عن ايذائي، واسمح لي أن أذهب للنوم!

ـ انا لا أحاول ايذاءك.

توقّف آدج أمامها ولم يكن يفصل بينهما إلاّ بضع سنتمترات.

وبتمهل مدّ يده وجذب خصلة من شعرها بقوة:

ـ أريد أن أعلم. اخبرني والدي أنك وافقت على البقاء هنا لمدة اسبوعين آخرين وأريد أن أعلم السبب.

حاولت صوفي أن تهدىء نفسها المتسارع:

ـ حسناً. حسناً. يجب أن تعرف لماذا سأبقى. لقد أحببت، براندت وبيرز وأحببت الاقامة هنا.

خفض آدج نظره، وبدا انتباهه مركزاً على اصابعها التي أمسكت بعنق ردائها. علّق بصوت أجش:

ـ الاحظ أنّ اسمي مشبوه بسبب غيابه من مجموعة الناس الذين تحبين.

ارتعشت صوفي:

ـ انا لم اعتقد بأنكّ تأبه للامر.

وحاولت أن تبدو غير مهتمة ثم تابعت:

ـ يبدو أنّ هناك اناساً يشعرون بأكثر من مجرد ميل نحوك.

فتح عينيه قليلاً ونظر اليها بامعان:

ـ وكيف تعلمين ذلك؟ قد اكون غير محبوب الى درجة ملحوظة.

ـ أشكّ في ذلك، ونظرت صوفي بعيداً عنه، أوه أرجوك، دعني اذهب

تمعّن آدج فيها وعلت وجهه انفعالات الانزعاج:

ـ انت لا تنفعين كمتواطئة، أليس كذلك، يا ايف؟

نظرت اليه بسرعة:

ـ لا أدري ماذا تقصد.

ـ لا تدرين، وشعرت بالخوف فطمأنها قائلاً، استرخي، لن أؤذيك.

ـ دعني... دعني أذهب.

ـ واذا لم أدعك، ماذا تفعلين؟ تصرخين للنجدة؟

ـ ارجوك.

وصلت صوفي الى درجة أصبحت معها مستعدة لأن ترجوه.

ـ اني متعبة. وأريد أن أنام.

عندها اقترب ... وشعرت بانقباض أنفاسها وعجبت كيف أنها لا تزال متماسكة الذهن.

ـ قلت لك. لن أؤذيك.

ـ آدج...

تهدّج صوتها ونظر الى عينيها وشعرت به يجذبها نحوه وأرادت ان تقاوم لكنها لم تستطع. وفجأة تكسرت الكأس التي كانت لا تزال في يدها وهوت على الارض وتيقظت والتقطت أنفاسها، وحاولت ان تفلت منه لكنّها لم تتمكن وما ان تراخت حتى وضع يديه خلف ظهره وأزاح ذراعيها عنه محاولاً ابعادها عنه قائلاً:

ـ لا، يا الهي، لا.

وهزّها بعنف وتخضّبت وجنتاها خجلاً وبأصابع مرتجفة لملمت أطراف ردائها:

ـ الوقت تأخر قليلا لتفعلي هذا، اليس كذلك؟

سألها آدج بفظاظة واستدار بعيداً وظهر عليه الاحتقار.

ـ يا الهي. فقط اغربي عن وجهي يا صوفي!

لبرهة لم تستطع صوفي أن تدرك ما قاله لكنّ آخر كلمة قالها جعلتها تفهم.

ـ صوفي؟

قالت وهي تكاد تختنق:

ـ انت... انت تعلم اسمي؟

ابتعد آدج عنها واسند جسمه الى الطاولة وبدا بارداً ومتجهماً.

ـ عرفت اسمك منذ وصولك الى هنا، قال بتجهم. والآن، اخرجي من هنا قبل أن أفعل ما قد نندم عليه.

لم تستطع صوفي أن تستوعب الامر فوراً. فقد حدثت أمور عدّة في وقت قصير جداً لم تتمكن معه من فهم ما يجري تماماً. حرّكت رأسها ببطء من جهة الى اخرى. محاولة فهم ما يعني لها كل الذي حصل لكنها اغمضت عينيها عندما نظرت ناحية آدج ورأت الكراهية العارية تلتهب فيهما.

ـ اوه... آدج...

بدأت تخاطبه بنعومة لكنّه نهرها بلهجته الصارمة.

ـ لا أريد التحدّث اليك أبداً، غمغم وهو يمسح فمه بقفا يده، فقط اذهبي واتركيني وحدي!

أدار ظهره. وسارت صوفي مترددة نحو الباب ثم توقفت. كان رأسها يضج بصخب وشعرت بالغثيان لكنها لم تستطع أن تصدّق أنّ آدج لم يعد يشعر بشيء تجاهها. واستاءت من نفسها بسبب ما حصل وهمست قائلة:

ـ آدج أرجوك، دعني أفسّر الأمر.

ـ اخرجي!

كان صوته مشبعاً بالقرف فخرجت وهي ترتطم بالاثاث وصعدت السلم الى غرفتها بصمت قطعته لهثات باكية في داخلها.

كان امراً مدهشاً أن يكون الصباح مشرقاً دائماً مهما حوى الليل من امور. وبالنسبة الى صوفي، التي أيقظتها الخادمة ليزا، كان بريق الصباح أشبه بتحية ساخرة لها في حزنها. وناضلت لتنهض من السرير الواسع. وطرفت عيناها بعدم تصديق وهي تنظر الى الساعة على الطاولة الصغيرة. الحادية عشرة! لا يمكن أن يكون الوقت متأخراً الى هذه الدرجة!.

حملت الخادمة صينية وعليها كوب من القهوة وبعض السندويشات الساخنة. وخاطبتها بلهجة جدية:

ـ الانسة فيوليت قالت انك تحتاجين الى هذا.

كانت صوفي متأكدة أنّ الخادمة لم تغفر لها ابداً عندما جعلت فيوليت تؤنبها.

ـ اوه، حسناً، شكراً لك.

واعتدلت صوفي في السرير وأزاحت بعض الاشياء الموضوعة على الطاولة الجانبية كي تتمكن ليزا من وضع الصينية عليها.

ـ سوف أنهض فوراً.

هزّت ليزا كتفيها:

ـ هذا كل شيء؟

قالت صوفي متنهدة:

ـ نعم، شكراً.

هزّت ليزا كتفيها ثانية وغادرت الغرفة وبعد خروجها غرقت صوفي في السرير، وأحنت رأسها باستنكار وانسدل شعرها كستار كثيف على وجهها. ثم وضعت رأسها بين يديها وتنهّدت بعمق، وتساءلت عما اذا فسر آدج بقاءها في السرير عملاً متعمداً لتجنب المحتوم. بالطبع، لا بد أن يفكر هكذا. لم يكن يعلم أنها بقيت مستلقية لساعات طوال وهي تشعر بالتعاسة والغثيان، تناولت بعدها ست حبات اسبرين كي تغفو.

لم تمس السندويشات لكنها رحبّت بالقهوة. كان فمها ناشفاً وبعد رشفات قهوة عدّة نهضت وذهبت الى الحمام لتنظيف أسنانها. لم يكن شكلها مريحاً للنظر في المرآة وبدت عيناها سوداوين قاتمتين لشدّة ما بكت وكان خداها شاحبين هزيلين.

استحمّت بالماء البارد وتأمّلت أن ينعشها الحمام. وبالفعل، شعرت بتحسّن حالما خرجت، لكنّ شعوراً بالفراغ داخلها بقي على حاله.

ارتدت سروالاً وردي اللون وسترة زرقاء وسرّحت شعرها بحركات سريعة يائسة وقالت لنفسها أنها لن تكون كالفأرة التي تختبىء في الزاوية بانتظار ضربة الفأس. ستخرج وتلاقي الحدث بكل ما لديها من شجاعة، وتري ادج انها لم تكن جبانة ايا تكن النتيجة.

عندما نزلت الى الطابق الأرضي صادفت بيرز وانشدّت أعصابها لشدّة التشابه بينه وبين والده. سلّم عليها بمكر:

ـ مرحباً، هذا افضل وقت للاستيقاظ. انتظرتك منذ ساعات.

بدا الحرص في عيني صوفي:

ـ تنتظرني؟ لماذا؟

نظر بيرز نحو السماء باعياء ظاهر:

ـ لماذا؟ تسألينني لماذا؟ الا نذهب عادة للسباحة في الصباح؟ اعلم أنني ذهبت بعيداً لمدة يومين، لكن هذا لا يعني أنّ الحال تغيّرت فجأة.

ـ اوه! نسيت.

ـ نسيت؟ كيف يمكنك أن تنسي موعداً مهماً كهذا؟

وتظاهر بيرز بأنه تأذى:

ـ اذن ما الذي تنتظرينه؟ ألا تريدين أن تسبحي؟

تردّدت صوفي منتظرة بعصبية أن يسمع آدج أو براندت حديثهما ويظهرا وأخيراً قالت:

ـ انا... لا أشعر بميل للسباحة اليوم.

تقدّم بيرز نحوها، وتفحص، وتفحص ملامحها عن كثب وسألها باهتمام:

ـ قولي لي، هل أنت على ما يرام، تبدين شاحبة، هل نمت في ساعة متأخرة ليلة امس؟

ـ يمكنك أن تقول ذلك لم... لم أنم جيداً.

ـ أستطيع أن أرى ذلك، أومأ بيرز رأسه، تعالي دعينا نذهب ونجلس على الشرفة وسأخبرك عن رحلتنا.

بقيت صوفي على ترددها:

ـ أين براندت ووالدك؟

نظر بيرز اليها بلطف:

ـ لماذا؟ ما حاجتك اليهم؟ اليست رفقتي كافية؟

ـ اوه بيرز، طبعاً لكن... يبدو البيت ساكناً هذا كل شيء.

هزّ بيرز كتفيه:

ـ لقد ذهبا الى بورت ماغوير. أراد براندت أن يأخذك معه لكنك كنت نائمة، وقال ابي انك ستجدين الرحلة مضجرة في أي حال.

شعرت صوفي بالضعف وارتاحت:

ـ اين بورت ماغوير؟

ـ في الجهة الجنوبية من الجزيرة قرب حقول النفط.

تمايلت فجأة وأمسك بيرز بمعصمها كي يسندها:

ـ انك متوعكة فعلاً، ألست كذلك؟ تعالي، سنرتاح اليوم. سأطلب من فيوليت أن تجلب لنا بعض القهوة الى الشرفة.

ولكن صوفي تمالكت باصرار. من الواضح أنّ ادج لم يقل شيئاً بعد، ولكن الى متى يمكنها أن تتوقع استمرار هذه الظروف؟ كان عليها أن تفكر في طريقة واعية وعاقلة، وكلما أسرعت في ارسال البرقية الى ايف وابلغتها بما حصل كان افضل لها. جلست صوفي مع بيرز وتناولت بعض قطع البسكويت وشربت فنجاناً من القهوة وبدأت تستعيد حيويتها. وفكرت أن الامور ما زالت كما كانت ظاهرياً. قال آدج انه علم بهويتها الحقيقية منذ البداية. لهذا فان وضعها في المنزل لم يكن أسوأ مما عليه سابقاً. علماً بأنها لم تستبعد أن ينفضح أمرها في أي لحظة...

واحتارت كيف علم آدج أنها لم تكن ايف منذ البداية. فكرت في الامر ملياً، وكان السبب في عدم قدرتها على النوم الليلة السابقة جزئياً، وعاودها الشعور اليائس ثانية وهي تفكر بهذه الامور. شربت بعضا من قهوتها وتعمدت التفكير بأمور اخرى. ونظرت الى بيرز وقالت:

ـ اتعتقد أنه يمكننا الذهاب الى بورت اوف سباين اليوم؟

ـ اتعتقدين أنها فكرة حسنة وأنت تشعرين بتوعك؟

تكلّفت صوفي الابتسام:

ـ اوه. أشعر أنني على ما يرام الآن. أعتقد أنني تعرضت لحرارة الشمس أكثر مما ينبغي يوم امس. هذا كل شيء.

بدا بيرز مشككاً:

ـ وان يكن ماذا تريدين من بورت اوف سباين؟ أستطيع أن ارسل جوزف.

تنهدت صوفي:

ـ لا، أفضل أن أذهب بنفسي ثم اني لم أر المكان بما فيه الكفاية. واعتقدت أنه يمكننا التجول قليلاً.

ـ وتريدين أن تتسوقي؟

ـ اريد ان ارسل برقية.

www.elromancia.com

ـ برقية؟ رفع بيرز حاجبيه، الى شخص اعرفه؟
ـ كلا، الى صديق في الوطن برقية معايدة. تعلم هذه الامور.
قرّرت أن تعترف بأنها سترسل برقية لأنها ستحتاج اليه في الاهتداء الى المكان.
انهى بيرز تناول قهوته ووضع الفنجان جانباً.
ـ اذن متى تودين الذهاب؟
ـ ساعة تشاء.
ـ الآن؟
ـ سيكون ذلك رائعاً!
ـ حسناً واذا شعرت بنفسك متوعكة، تخبرينني؟
ـ أجل شكراً يا بيرز انك رائع!
ـ هل أنا حقاً رائع؟ اذن لماذا لا نتجاوز أبداً مرحلة امساك الايدي، نحن أقارب كما تعلمين.
أضحكها ما قاله بيرز.
ـ اعتقد أنه من الافضل أن احضر نظارتي.
ذهبا الى بورت أوف سباين وقاد بيرز السيارة بمهارة وعندما فسّر لها أنّ والده علّمه قيادة السيارة على أراضي العائلة وهو في الثامنة من عمره فهمت صوفي سبب مهارته.
ـ هل... هل تذكر والدتك؟
سألته بتردد، غير قادرة أن تنسى آدج بصورة تامة.
نظر بيرز اليها نظرة جانبية.
ـ هل تعلمين أنها المرة الاولى التي تسألينني فيها عن والدتي؟
ـ لم انتبه في الواقع، ما وددت أن ابدو دخيلة.
ـ ولم لا؟ فهي كانت عمتك.
ـ اجل، حسناً... لا علاقة لي بالامر، أليس كذلك؟
ـ اوه أجل. اني اذكرها. أعتقد اني كنت في السابعة من عمري عندما توفيت. لكنها لمن تكن كل شيء في حياتي. أعتقد أن فيوليت كانت والدة لي اكثر منها.

ـ اذن انت عشت هنا دائماً؟
ـ في بوانتي سانت فينسنتي؟ أوه، أجل. اسمعي. كان والدي يعمل لحساب براندت والبيت ضخم. ولم يكن براندت يحب ان يبقى وحيداً.
ـ كانت معه روزا.
ـ أجل، لكنك تعّرفت الى روزا. انها لا تعيش معنا معظم الوقت، وبالتأكيد لاحظت ذلك.
أومأت صوفي برأسها:
ـ اعتقد... اعتقد أنّ والدك تضايق جداً عندما توفيت.
بدا بيرز مفكراً:
ـ اعتقد أنه كان كذلك الى حدّ ما.
وقطبت صوفي حاجبيها:
ـ ماذا تعني؟
ـ في الواقع لم تكن أمي مثله. لا أعلم بالفعل لماذا تزوجها، ثم تنهد وتابع، أجل، أعلم. أخبرته انها حامل وفعل ما أملاه عليه ضميره!
ـ اوه! استدارت صوفي في مقعدها وقلبها يخفق بقوة، لكن أعتقد أنه كان سعيداً بولادتك؟
ـ نوعا ما. لكنني ولدت بعد سنة من زواجهما لذا لم تكن الامور بينهما على ما يرام.
هلعت صوفي:
ـ تعني...
ـ نعم أقدم حيلة وقع فيها. ماذا كان في وسعه أن يفعل. عائلة سانت فينسنتي عائلة مرموقة ولديها مبدأ في مسائل الشرف. كان من غير المعقول ان ينكر أبي مسؤوليته وان ساوره شك في عدم صحتها.
هزّت صوفي رأسها:
ـ يا له من أمر فظيع!
ـ نعم الم يكن هكذا؟ ولكن هكذا هي الحياة، كما يقولون.
لم تستطع صوفي أن تقف عند هذا الحد من الحديث:
ـ ولكن بعد ولادتك، بالتأكيد تحسّنت الامور؟

- ليس فعلا. أرادت والدتي أن تتزوج. وعندما أصبح عليها تحمل مسؤولية الزوج والعائلة انطرحت في فراشها.

- لا يمكن أن تكون جاداً. من أخبرك كل هذا؟

- أو تعتقدين أنّ والدي أخبرني القصة كما يرغب وجعلني أمقت والدتي؟ لم يكن في حاجة الى اخباري يا ايف. كنت موجوداً. رأيت الامر يحدث.

- ولكن لا يمكنك. كنت صغيراً جداً.

- في البداية، نعم...

لا أعتقد أنها تماثلت بعد أن ولدتني. على الاقل ناسبها التظاهر بذلك. وكما ترين، فوالدتك توفيت عند ولادتك وأعتقد أنّ كلا من والدي وبراندت كتب لهما أن يكون ردّ فعلهما تماثلا في كل الاحوال، لا أعتقد انها كانت زوجة فعلية لوالدي. بالطبع أصيبت بالسرطان. قد أبدو قاسياً. لكني لست هكذا فعلاً. الامر لا يعدو أنها لم تكن أماً حقيقية لي أيضاً. فاذا ما ذهبت اليها بقدمي الدامية أو رأسي المجروح كانت تتظاهر بالغيبوبة فاعتدت أن اذهب الى فيوليت التي كانت تطمئنني. الناس يعتقدون أنّ روابط الدم هي كل شيء. أنا لا أعتقد ذلك. يمكن للناس أن يكون دمهم من نوع واحد ويكرهون بعضهم بعضاً. فيوليت كانت أمي وهذا كل معنى الامومة أليس كذلك؟

- أعتقد ذلك.

كان مكتب التلغراف يقع في ساحة الاستقلال التي سمّيت هكذا بعد الاستقلال في عام ١٩٦٢، كما أخبرها بيرز. وهناك عدد من الحدائق والساحات الجميلة تتشوق الى السياح. لكنّ أمراً واحداً كان يشغل بال صوفي تلك اللحظة. لحسن حظها وافق بيرز على انتظارها في الخارج بينما دخلت هي وكتبت رسالتها الى ايف. بدت الرسالة طويلة جداً عندما انتهت من كتابتها، لكنّها أرادت أن تعلم صديقتها بالورطة التي أوقعتها فيها، كان عليها ايضاً أن تبلغها ان خالها علم بهويتها الحقيقية. وبعد ان دفعت رسم البرقية للموظف وخرجت، وجدت بيرز يرفس بقدمه بنفاد صبر.

- بحق السماء ما هي رسائل المعايدات هذه؟ هل تدركين اني انتظرتك هنا منذ قرابة نصف ساعة؟

- اني آسفة يا بيرز ولكنك تعلم كيف تسير الامور. أنا غير معتادة على ارسال برقيات.

حدّق بيرز فيها بدهاء:

- حقاً؟ وأعتقد انك لم تذكري شيئاً عن بقائك هنا لفترة اسبوعين آخرين، هل انا مخطىء!

عبست صوفي

- انا! قد أكون نسيت أن اقول لك ذلك.

أومأ بيرز برأسه:

- اعتقدت ذلك. صديقك هذا الذي كتبت له انه رجل. أليس كذلك؟

فغرت صوفي فاها مستنكرة سؤاله وعبست ثانية. على الاقل اذا علم الجميع انّها أرسلت برقية لن يرتاب آدج في شيء اذا اخبره بيرز أنها موجّهة الى رجل. فهزّت كتفيها وقالت ببط:

- لديّ اصدقاء من الجنسين ولا أجد أن الامر يهم في كلا الحالين.

بدا الخجل على وجه بيرز:

- اعتقد أنك محقة. مللت من الانتظار، هذا كل ما في الامر. تعالي. سنذهب نتغدى ثم اطوف بك في المدينة قليلاً.

تمكّنت صوفي من نسيان همومها ذلك اليوم وقررت ألّا تعيش عذاب الترقب لأنها لن تستطيع فعل شيء لتغيّر مجرى الاحداث. وبدلاً من ذلك تمتّعت بالتنزه مع بيرز في واحدة من أجمل مدن العالم. لكن ما ان عادا الى السيارة حتى شعرت صوفي بموجة عارمة من الندم. كاد النهار ينتهي وعليها الآن أن تعود وتواجه أي طارىء يمكن أن يحصل.

وصلا الى سانت فينسنتي قرابة الساعة السادسة مساء ورأت صوفي أنّ آدج وبراندت قد عادا أيضاً. كانت سيارة ادج متوقفة في باحة المنزل ونوافذها مفتوحة. علّق بيرز:

- لقد عاد والدي. تعالي! ربما وصلنا في الوقت المناسب لشرب الشاي،

أنا بالتأكيد أحتاج الى ذلك.

تبعته صوفي بخطى بطيئة. تخوّفت من اللحظة التي ستضطر فيها لمقابلة آدج ثانية ورؤية المكر القاسي في عينيه. تخوفت من رؤية الاحتقار يملأ وجهه، وتمنّت لو أنها لم تتنزه مساء امس. ولو لم يحصل ما حصل...

دخلا القاعة. وانعشتها برودتها بعد الحرارة في الخارج، وملأت الجو رائحة الورود الموضوعة في مزهرية كبيرة على قاعدة طويلة. توقفت صوفي معجبة بالورود. فعلت أي شيء لتؤخر لحظة مواجهته المقيتة، كانت منحنية على باقة الورود عندما جاء آدج. لم يكن وحده. بل هناك فتاة تتبعه وللحظة ظنّت صوفي أنها جانين فنظرت بعيداً. لكنه تكلم وجعلتها كلماته تجمد في مكانها.

ـ آه، لقد عدت. اني سعيد يا ايف فهناك زائر من انكلترا. أليس الامر مدهشاً؟ الانسة صوفي سلاتر!

ظنّت صوفي أنها ستغيب عن الوعي حيث كانت تقف. شعرت بارتخاء في ساقيها وغشت عينيها غشاوة. لكن تقدّمت منها وأمسكت ذراعها بنفاد صبر قائلة:

ـ لا تتأثري الى هذا الحد يا عزيزتي! أعلم انها مفاجأة، لكنك تعلمين كم أحب المفاجآت!

٨ - الحقيقة كالكابوس!

جلست صوفي على كرسي في الحمام وراقبت ايف وهي تستحم وتستخدم كل ما وضع بتصرف صوفي فقط. ملأت ايف حوض الحمام بفقاقيع الصابون واسترخت بكسل، غير آبهة لتعبير القلق المرتسم على وجه صديقتها. وقالت لها بهدوء:

ـ يا عزيزتي، الأمر الذي لا تفهمينه هو ان آدج لا يستطيع ان يفضحك الآن.

ـ لماذا؟

ـ يا عزيزتي، لو كان ينوي ان يفعل ذلك لكان في امكانه ان يفعله قبل اسبوعين، الا ترين؟ لقد جعل نفسه متواطئاً في القضية.

ـ تجعلين الأمر يبدو بسيطاً جداً!

www.elromancia.com

ـ في الواقع انه بسيط، اليس كذلك. انه وضع غريب، الا تعتقدين، انت تمثلين شخصيتي، وانا شخصيتك.

ـ انه وضع سخيف! ايف، عليك ان تخرجيني من هذه الورطة. اخبري جدك من انت وسأعود الى الوطن.

ـ كلا!

ـ لم لا؟

ـ سيكون مثل هذا التصرف غبياً الآن. من الواضح انه يكن لك محبة حقيقية تبدو في كلامه عنك. ستكون الحقيقة بالنسبة اليه امراً قاسياً.

استدارت صوفي نحوها بغضب:

ـ تعنين... لن يكون الأمر مناسباً؟

ضاقت عينا ايف:

ـ ما الذي قلته؟

ـ سمعت ما قلت هناك اكثر من مجرد تهدئة خواطر رجل مسن. ارسلتني الى هذا المكان بهدف محدد لكنك لم تخبريني به!

نهضت ايف وتناولت منشفة بيضاء:

ـ صوفي، لا تغضبي لأي سبب! تصورتك دائماً هادئة وعاقلة. فجأة يبدو لي ان اخلاقك قد تبدلت. واني اتساءل عن السبب؟

ـ اوه لا تكوني سمجة يا ايف! انظري، لقد فعلت ما اردت، جئت الى هذا المكان. الا تعتقدين انه يحق لي ان اعلم لماذا؟

ـ ربما. ربما لا. هل يمكنك اعارتي بعض الثياب النظيفة يا عزيزتي؟ اغراضي ما زالت في الفندق. الى ان يحضر جوزف حقيبتي.

شدت صوفي قبضتيها:

ـ لا يمكنك البقاء هنا!

ـ لم لا؟ انه افضل من البقاء في فندق.

ـ لكن آدج يعلم... اقصد.لا بد ان يدرك من انت.

ـ وان يكن؟ ان الأمر يضفي شيئاً من التشويق على الوضع، الا تعتقدين؟

تنهدت صوفي:

ـ لكن ماذا عن جون فيلوز؟ اعتقدت انك تعملين في الشرق الأوسط الآن.

خلعت ايف المنشفة عنها وسألتها:

ـ اين الثياب يا عزيزتي؟ لا استطيع ان اقف هكذا الى الابد.

تأففت صوفي لكنها استدارت وذهبت الى غرفة نومها وفتشت في ادراجها واحضرت ما طلبته منها ايف. ثم قالت لها وهي ترتدي ثيابها:

ـ الشرق الأوسط يا ايف؟ ماذا حدث لتلك الرحلة التي منعتك من المجيء الى هنا؟

ارتدت ايف ثوبها الازرق الذي ارتدته ساعة انت ثم استدارت قائلة:

ـ لم يكن هناك من رحلة الى الشرق الأوسط يا صوفي، ولكنها ستحصل... بمساعدتك.

ـ ماذا تعنين؟

ـ اوه يا صوفي، هل يجب ان افسر فوراً؟ الا نستطيع ان نجلس وندخن سيكارة ونتحدث عما فعلته انت هنا؟ عدا قضية خالي اظنك استمتعت باقامتك هنا. اليس كذلك؟ وبيرز يبدو رائعاً.

عادت صوفي الى الحمام لتفرغ الحوض وجاءت ايف ووقفت باسترخاء عند الباب المفتوح.

ـ لا تكوني هكذا يا عزيزتي. الا نستطيع ان نتحدث بمودة؟

ووقفت صوفي مكانها:

ـ كيف يمكنك ان تقفي هنا وتتوقعي مني ان اوافق على تصرفاتك؟ اعتقد انك تصرفت بصورة مقيتة، اذا اردت ان تعرفي حقيقة شعوري.

هزت ايف كتفيها وقالت بجفاف:

ـ لقد وافقت على المجيء يا صوفي.

ـ اعلم ذلك وندمت على فعلتي منذ ذلك الحين.

واتجهت صوفي الى غرفة النوم واضافت:

ـ انا لا اصلح للمؤامرات يا ايف. اذا لم تخبريني عما في الأمر فوراً، سأنزل واخبر براندت كل شيء؟ هل تفهمين؟ كل شيء!

نظرت ايف اليها بتمعن:

- لا اصدقك يا عزيزتي لكن اذا اصريت...
- انني مصرة.
- حسناً والآن، من اين ابدأ؟
- من البداية.
- اوه نعم. اي منذ وفاة والدي. حسناً، كما تعلمين كتبت الى جدي آنئذ وابلغته الامر وكما تعلمين كان عطوفاً جداً. تبادلنا الرسائل، واقترح علي ان اتي الى ترينيداد وارتعت للأمر.
- لماذا؟
- اكره ان اعترف بالأمر لكنني احب جون فيلوز.
- تحبين جون فيلوز؟
- نعم، لم اعتقد يوماً ان اي رجل يمكن ان يثير اهتمامي الى هذا الحد لكني احب جون.
- اذن، اين المشكلة.
ردت ايف عليها:
- لمجرد انني قلت بانني احب جون فيلوز فهذا لا يعني انه يبادلني الشعور. على العكس، اشك في ما اذا كان يشعر حتى بوجودي.
نظرت صوفي اليها باستغراب ذكي:
- ياه يا ايف. انت لست من نوع النساء اللواتي يبقين من دون ان يلاحظهن احد لمدة طويلة.
- شكراً لك يا صوفي، وابتسمت ايف ابتسامة صغيرة غامضة، سأعتبر كلامك بمثابة اطراء لي. لكن، على رغم ما تقولينه لم يصل جون فيلوز الى حيث هو اليوم من دون ان يتنبه للفرص التي اتاحت له ذلك فهو يعلم اين يريد ان يكون ويصل الى ما يريد. ان الصحافة مثيرة لكن من الممكن ان تكون خطرة جداً عندما يقوم الصحافي بمهمات ما وراء البحار. وهو يعلم اين يكمن المال في الصحافة والتلفزيون، وكيف يصبح المرء شخصية مهمة ويشتهر اسمه فوراً، ولهذا يريد ان ينجز السلسلة الوثائقية تلك.
- تعنين ان فكرة ذهابه الى الشرق الأوسط كانت ممكنة الحدوث؟
- بل ضرورية. على الأقل من وجهة نظر جون. الا ترين، اذا استطعت

تأمين المال فسوف يأخذني معه!
- اوه، يا ايف لست جادة في ما تقولينه!
- لم لا؟
- لأن ... حتى لو كان الأمر صحيحاً، وكان فيلوز يحتاج الى ممول واستطعت انت تأمين ذلك له، فهذا لا يعني بالضرورة انه سيهتم بك! بحق السماء، اعتقد ان العكس قد يحصل. قد يصبح مشهوراً، ويرد لك ما استدانه منك، ثم يتخلى عنك!
زمت ايف شفتيها بضيق:
- في الواقع، عقلك الساذج يستنتج هذا اليس كذلك؟ لا تتصوري انني ساعطيه النقود من دون اي ضمانات. لست بلهاء كما تعلمين.
هزت صوفي رأسها:
- وهذا كل ما في الأمر؟ فرصة لسلب رجل عجوز بضعة آلاف من الجنيهات؟
نظرت ايف اليها بتعب:
- اني لا اسلب احداً. انه حقي. اني قريبة امي الوحيدة. ويحق لي نصف الممتلكات هنا!
شهقت صوفي:
- انت نسيت ان امك تخلت عن كل شيء عندما تزوجت والدك. وحسب ما اعرف فالصبي هو الذي يرث كل شيء.
- تعنين آدج؟ ولمعت عينا ايف، اخبريني، كيف اخبرك انه كان يعلم من انت؟
وبدت صوفي الآن غير مرتاحة:
- هل يهم؟ اخبرني وهذا يكفي.
- هل يكفي؟
امعنت ايف النظر فيها ولاحظت امتقاع وجهها المفاجيء:
- آه اجل. بدأت افهم. انه طبق شهي، اليس كذلك؟ الخال آدج. وما دام يفكر انه خالك فليس هناك من مجال...
- لم يكن في الأمر شيء من هذا! لقد اخبرتك. انه علم منذ البداية.

- كيف؟

- لست ادري، واستدارت صوفي بعيداً، ارجوك يا ايف، توقفي عن محاولة القاء اللوم علي.

- انا لا الومك. كنت فعلت الشيء ذاته لو اني مكانك. اخبريني كيف هو؟ اعني آدج.

شهقت صوفي. ونظرت اليها قائلة:

- من العار عليك ان تقولي مثل هذا الكلام!

- لماذا؟ اوه يا صوفي انك شفافة كالماء. من الواضح انه يثيرك. ولكن هل تنبه هو لك؟

- ايف، ارجوك! اننا لا نبحث في اموري. اننا نبحث في موضوعك انت... ووضعك هنا. اسمعي، يمكنك ان تخبريهم ما يحلو لك. يمكنك ان تدعي انك جئت بمهمة عاجلة من الجريدة... اي شيء. ما دام يمكنني العودة.

- ابداً.

- ولكن لماذا يا ايف؟ كنت صبورة جداً. وقد كذبت علي. تظاهرت بأن جدك لم يعلم انك تعملين في جريدة. تظاهرت بانه رجل مسن وعلى وشك ان يموت. ارسلتني الى هنا من دون ان ادرك الاسباب الحقيقية لذلك. كيف تتوقعين ان تبقيني هنا الآن؟

وقفت ايف:

- اذا ذهبت الآن سيتحطم كل شيء. الا تستطيعين ادراك ذلك؟ لن يسامحني جدي ابداً ان علم انني ارسلتك لتحلي محلي.

- وهل تعتقدين فعلاً بأن آدج سيسمح له بان يعطيك المال وهو يعلم انك اتيت هنا بنفسك؟

- قد يقبل. اذا كانت الشروط تلائمه.

- اي شروط؟

- حسناً. هناك قضية عدم فضحك كمحتالة منذ البداية. اتعتقدين ان لهذا الأمر اهمية شخصية؟

- عم تتكلمين؟

- اني اتكلم عنك وآدج. اتعتقدين انه يستهويك؟

حبست صوفي انفاسها:

- لا! لا. طبعاً لا.

- انه احتمال.

- لا اظنك تعتقدين ان آدج لم يخبر والده من اكون، لأنه وجدني جذابة! اوه يا ايف، لا تكوني سخيفة الى هذا الحد!

- اين السخف في ما اقوله؟ ما السبب اذن في عدم كشف هويتك؟

- هو - لم يعطني اي سبب.

- هكذا اذن.

- اوه، يا ايف! فقط لو تعلمين كم انت مخطئة في ما خص ادج فانا لا استهويه. انه يكره ان يراني وقد اخبرني بذلك.

- حقاً.

بدت ايف محتارة. ثم تابعت:

- اغرب، واغرب. في الواقع لا بد ان يكون لديه سبب ما لعدم كشف هويتك، وعلينا معرفته واستخدامه لمصلحتنا.

هزت صوفي رأسها بقوة:

- يمكنك ان تفعلي ما يحلو لك يا ايف بشرط عدم اقحامي في الموضوع.

- ماذا؟ اتريدين ان يعلم جدي الحقيقة من دون تحضير؟ ماذا تظنين سيكون رد فعله؟ سوف يصدم.

تحركت صوفي بعصبية:

- لا بد ان يعرف عاجلاً ام آجلاً.

- لماذا؟ لم لا تنجح خطتنا الاساسية؟

- خطتك انت!

- حسناً خطتي انا، لو تتوقفين فقط عن التصرف بهذه المزاجية لرأيت ان لا شيء تغير. يمكن ان يسير كل شيء كالسابق ولكنني الآن سوف اساعدك.

- لا. لا. لن افعل ذلك.

- ماذا ستفعلين اذن؟ تكشفين نفسك؟ وانا لا انوي ان افعل ذلك

واعتقد ان آدج لن يفعل ايضاً لسبب ما.

اخذت صوفي تسير في الغرفة:

ـ يا الهي. ما هذا الوضع! ثم خطرت ببالها فكرة، لكن اذا كنت لا تزمعين السفر مع جون فيلوز، لماذا ارسلتني الى هنا؟ ولماذا انت هنا الآن؟

ـ كما اخبرتك يا عزيزتي. لم استسغ فكرة لعب دور الحفيدة المفقودة. حتى الآن لا ارغب في ذلك. انت اقرب الى طراز الحفيدة التي يتوقعها جدي.

ـ انت لا تهملين اية تفاصيل، اليس كذلك؟ كيف تجسرين على تحريك الناس كي يخدموا اغراضك وتتوقعين ان لا تتضرري؟

ـ اوه حقاً يا صوفي، لا تكوني طفلة! ما الامر المريع الذي اقترفته، في اي حال لقد اسعدت جدي كثيراً. اكثر مما كنت اسعدته انا بالتأكيد.

ـ وتعتقدين ان هذا عذر مقبول؟ جعلت جدك سعيداً بسبب انانيتك! هناك امور اخرى يجب ان تأخذيها في الاعتبار يا ايف.

ـ كان في امكاني ان اعلم ان ضميرك البورجوازي سيبدأ بازعاجك.

ـ يبدأ؟ لم يتوقف ابداً عن ازعاجي!

ـ اتعنين انك لم تتمتعي في الاقامة هنا؟ اي انك لم تتمني عدم العودة الى الوطن؟

كان على صوفي ان تكون صادقة:

ـ كلا، انا لم اقل ذلك.

ولكن فجأة، قبل ان تستطيع ايف الاجابة، سمعتا طرقاً قوياً على الباب خارج غرفة نوم صوفي، واستدارت الفتاتان تحدقان في الباب من دون فهم. وطرق قلب صوفي بقوة، لكنها تحركت لتفتحه ثم تراجعت مرتبكة عندما دخلت الخادمة فيوليت الى الغرفة.

ـ اني آسفة يا انسة ايف، خاطبت صوفي بلهجة اعتذارية، ولكنني امسكت بتلك الفتاة ليزا تتنصت على بابك.

اسندت صوفي نفسها الى مقبض الباب:

ـ ليزا؟

ـ نعم. ارسلتها الى هنا قبل عشر دقائق لتخبر صديقتك الآنسة سلاتر

ان غرفتها جاهزة وتنتظرها. وطبعاً عندما لم تعد، اتيت لأرى ما الذي يحدث فرأيتها واقفة خلف الباب تتنصت!

تركت صوفي الباب وجلست بضعف على السرير.

ـ فهمت... فهمت.

نظرت ناحية ايف فتحركت الفتاة بسرعة الى الأمام وهتفت:

ـ كوني اكيدة من انها ستعاقب بقسوة، وتعجبت صوفي من برودة لهجة ايف، لا يمكن للمرء ان يسمح لمثل هذه الأمور بأن تحصل. هل حصل مثل هذا الأمر قبلاً؟

استجابت فيوليت فوراً للهجة الآمرة في صوت ايف.

ـ ليس على حد علمي يا آنسة سلاتر. ولكن لا تقلقي. سوف اخبر السيد براندت عنها. انها فتاة وقحة وربما كان من الافضل ان تبحث عن عمل في مكان آخر.

تنفست ايف بسهولة اكثر:

ـ اعتقد انها فكرة ممتازة يا فيوليت، وابتسمت، ففي اي حال، يجب ان تفكري براحة ضيوفك، اليس كذلك؟ وهذا ينعكس عليك.

اومأت فيوليت برأسها قائلة:

ـ اتركي الأمر لي يا آنسة.

ـ حسناً.

انحنت ايف والتقطت حقيبتها ونظرت نحو صوفي نظرة ثاقبة، ثم خاطبت فيوليت:

ـ والآن خذيني الى غرفتي، فأنا متعبة. هل تعتقدين ان في امكاني تناول عشائي في غرفتي هذه الأمسية؟ انا متأكدة ان الانسة ايف يمكنها ان تعتذر نيابة عني.

خرجت ايف قبل ان يكون لدى صوفي الوقت الكافي لتعترض وسمعت فيوليت تؤكد لايف ان المسألة سهلة. ولكن ما ان اغلق الباب خلفهما حتى دفنت صوفي رأسها بين ذراعيها، وارتجفت لا ارادياً. لا بأس ان تصرفت ايف بمثل هذا الهدوء. لكنها لم تقم هنا ولم تكن تعرف هؤلاء الناس.

اخرت صوفي موعد نزولها الى العشاء حتى اللحظة الاخيرة، وظهرت في

اللحظة التي جاءت فيها الخادمة لتخبر براندت ان العشاء جاهز. كان جميع افراد العائلة يتناولون العشاء في المنزل هذه الأمسية. وبدا براندت متضايقاً بعض الشيء عندما ابلغته صوفي ان صديقتها متعبة ولن تتناول طعام العشاء معهم وسألها عابساً:

- هل هي مريضة؟ بدت متعافية ساعة وصلت.

هزت صوفي رأسها نفياً، متجنبة نظرة آدج المتهكمة:

- لا. انها ليست مريضة، فقط متعبة. تعلم كيف هي الأمور كالسفر من انكلترا وما اليه.

- اوه لكنها اخبرتنا انها هنا منذ بضعة ايام وانها قررت ان تبحث عنك بصورة عرضية. علق آدج بمكر وهم يجلسون الى طاولة العشاء.

تغضب وجه صوفي:

- اوه، حقاً، اعتقد انها تجولت كثيراً في الجزيرة قبل ان تأتي الى هنا.

حدق براندت في ابنه:

- لا اذكر ان الآنسة سلاتر ذكرت موعد وصولها الى تريندياد.

هز ادج كتفيه:

- الم تذكر؟ ربما اخطأت.

القت صوفي نظرة غاضبة تجاهه:

- الجميع يخطىء احياناً.

- نعم، اننا نخطىء، اليس كذلك؟ قال بنبرة قاسية، ولكن البعض يخطىء اكثر من البعض الآخر.

قطب براندت حاجبيه في وجه ابنه وقال لصوفي بلطف:

- لا تكترثي لما يقوله آدج يا عزيزتي. اخشى ان يكون مزاجه سيئاً اليوم.

- لست في حاجة للاعتذار عني يا براندت!

- فعلاً؟

ونظر براندت في وجه صوفي القلق:

- اخشى ان نهارنا في بورت ماغوير لم يكن ناجحاً تماماً. اصيب احد انابيب الضخ بعطل في منطقة اوغوستينا وامضى آدج معظم الوقت يزحف

فوق الآلات. كما ان عجلة السيارة ثقبت في طريق العودة. من حسن حظك انك لم تكوني معنا يا ايف. فلم اود لك سماع ما تلفظ به من كلمات.

استطاعت صوفي ان تبتسم:

- اخذني بيرز الى بورت اوف سباين.

- نعم، هذا ما سمعته، نظر براندت الى حفيده، انك هادىء جداً هذا المساء. ما الخطب؟

- ماذا؟ اوه كنت افكر، هذا كل شيء.

نظرت صوفي نحوه بسرعة. هل علم بيرز بالأمر؟ هل قرر آدج كشف هوية صوفي الحقيقة لابنه بعد ان جاءت ايف؟ فأيف هي قريبة بيرز وابنة اخت آدج.

التقط بيرز نظراتها القلقة وابتسم لها وسألها:

- كيف تشعرين الآن؟

ثم خاطب الجميع:

- كانت ايف متوعكة بعض الشيء هذا الصباح. لم احبذ ذهابنا للتنزه لكنها اصرت.

سألها براندت باهتمام:

- بماذا شعرت؟، طبعاً، قلت انك مصابة بصداع مساء امس عندما اقترحت عليك الذهاب مع آدج وجانين.

- لم يكن صداعاً مؤلماً، اعتقد انني تعرضت لأشعة الشمس اكثر مما ينبغي.

- هذا قد يكون خطراً،عليك ان تكوني اكثر حرصاً. لا نريدك ان تمرضي فتتخلفي عن حضور الكرنفال الاسبوع المقبل.

- هل حان موعد الكرنفال؟

سألت روزا وهزت رأسها ببعض التعجب.

- كيف تمر السنوات!

اشعر كأن والدتك كانت تحضر نفسها للكرنفال يوم امس.

- نعم، لكن هذا كله من الماضي.

علق براندت بنشاف. بدت روزا كأنها لم تسمعه اذ تابعت حديثها:

ـ ذلك كان الوقت الذي هربت فيه والدتك. او تعلمين، وقت الكرنفال، لم يفتقدها احد. لساعات طويلة.

ـ كفى يا روزا!

كان صوت براندت قاسياً وبدا كأنه ايقظ اخته من احلامها. فنظرت اليه في صمت مؤلم وصمت الجميع لفترة.

عندما انتهت وجبة الطعام، كانت صوفي تهم بالصعود الى غرفتها عندما اعترضها آدج:

ـ اود التحدث معك يا ايف!

خاطبها ببرود وهما يغادران الطاولة:

ـ سنذهب في نزهة في سيارتي.

نظرت صوفي اليه بتمرد:

ـ افضل الا اذهب. شكراً لك.

ـ لكنك ستفعلين.

همست كي لا يسمعها احد غيره:

ـ لا تستطيع ان ترغمني.

ـ أوتظنين ذلك؟

كان صوته هامساً وشعرت بالعنف الذي يكتنفه. واقترب براندت منهما:

ـ ما الذي يجري؟ ما الذي تقوله لايف الآن يا آدج؟ الا تستطيع ان ترى كم هي متعبة؟ دعها وشأنها!

وضع آدج يديه في جيبي سرواله، واجابه ببرود:

ـ كنت فقط اقترح عليها استنشاق بعض هواء الليل البارد فهذا سيخفف من صداعها.

ـ صداعها؟ مرة اخرى يا ايف؟ يا للحظ التعيس.

طوت صوفي ذراعيها في حركة دفاعية وقالت بارتباك:

ـ افضل ان اخلد الى النوم، شكراً لك في اي حال.

ـ ولكن ذهابك الى النوم ليلة امس لم يشفك، اليس كذلك؟

ـ ماذا تقصد!

وللحظة موجعة ظنت صوفي انه ينوي فضحها. ولكن بدا واضحاً ان ادج كان يفكر بسبل اخرى لتعذيبها. لكنه اجابها بلطف:

ـ حسناً، تشكين من الصداع وربما هواء الليل سيكون انجح من النوم.

اومأ براندت برأسه موافقاً:

ـ ما دمت لا تتشاجر معها طوال الوقت يا آدج فلا بأس. خذها الى الجبال فالهواء ابرد هناك.

لم يكن في وسعها الا ان توافق. احضرت صوفي شالاً وضعته على كتفيها ثم رافقت آدج الى السيارة. وذهبا نحو الجبال فعلاً كما اقترح براندت عليهما. في ظروف مغايرة، كانت صوفي تمتعت جداً في النزهة. فضوء القمر اضفى لوناً فضياً على البحر الذي قبع مئات الامتار دونهما، وغطت الاشجار الطريق الملتوية التي سلكاها. كان الطقس اشد برودة هنا وارتعدت بتأثير البرد المشوب بالخوف. بقي آدج صامتاً في الطريق وكان يركز على قيادة السيارة عبر المسالك الضيقة، ويسترخي وراء المقود. اخيراً وصلا الى هضبة صغيرة تطل على منظر جميل وكان ضوء القمر يعكس نوره على المزيد من المناظر حولهما. اطفأ آدج محرك السيارة وفتح بابه وخرج وسار بكسل نحو سور حجري واسند ذراعه اليه. رأت صوفي شعلة قداحته وهو يشعل سيكارة وبقيت مكانها، متجمدة وعصبية، غير قادرة على تفسير سبب مجيئه بها الى هذا المكان. كان الصمت مثيراً للاعصاب وتمنت لو عاد الى السيارة واخبرها بما اراد قوله لها. كان من غير المجدي التظاهر بان ما حدث بينهما ليلة امس لا يعدو اكثر من مجرد ازعاج له، ومهما حدث يجب الا تدعه يرى كم يستطيع ايذاءها بسهولة.

واخيراً عاد نحو السيارة وانسل في مقعده قربها باسترخاء طبيعي. ثم اضاء نور السيارة الداخلي وتمعن في ملامحها الشاحبة وسألها:

ـ حسناً؟ متى ستغادر؟

ـ متى تغادر؟ لم افهم!

ـ فهمت جيداً. متى تزمع على الرحيل؟

اطبقت صوفي يداً على يد باحكام:

- انا لا اعلم. ولا استطيع اجبارها على المغادرة.

- طبعاً! صاح آدج بغضب، اتتوقعين مني فعلاً ان اتحمل وجود تلك المخلوقة في منزلي يوماً اخر؟

- انت... انت تعلم من تكون؟

- عليك اللعنة، طبعاً اعلم! انها ابنة جيمس هوليستر! بكل ما للكلمة من معنى!

- لماذا... ماذا تقصد؟

زفر آدج بغضب:

- كان جيمس هوليستر مغامراً. بلا اخلاق. تزوج اختي على امل ان يضع يديه على ما تخيله ثروة كبيرة. ولسوء الحظ ظن انه يستطيع ذلك من دون الرجوع الى والدي، وعندما انعزلت جينيفر عن العائلة ولم يكن معها فلس واحد، اصيب بأكبر صدمة في حياته العملية.

شهقت صوفي:

- لا اصدقك!

- ليس عليك ان تصدقيني. الأمر سيان لدي. ولكن، هذه هي الحقيقة.

صدمت صوفي للحظة، ثم بدأت تحتج:

- جيمس هوليستر احب جينيفر.

- احب مالها، او ما ظن انه سيؤول اليها! يا الهي لا اظنك تعتقدين انني اتكلم من دون اثبات. عندما اكتشفت جينيفر الحقيقة، اصيبت بخيبة امل فظيعة وكتبت الي تخبرني كم هو خسيس. وماتت عندما ولدت ايف، لكنني اعتقد انها فقدت رغبة الحياة!

- اوه... لا يمكنك ان تعني ما تقول.

- بل اعني ما اقول.

- اذن لماذا لم تنفصل عنه، ولم تعد الى المنزل؟

اطفأ آدج سيكارته بعصبية في المنفضة:

- لأن ابي لم يسمح لها. ماذا تعتقدين كان سبب كل المشكلة؟ الا تدركين ان شعور ابي العطوف تجاهك... للشخص الذي يتخيله انه انت

ينبع من شعوره بالذنب تجاه جينيفر؟ جينيفر ادركت مخاذير عملها لكن كلاهما لام الاخر، اختارت ان تتجاهل التحذير وانت ترين ما حدث! ربما لو لم تمت لحظة ولادة ايف لحدث صلح ما، ولكن هذا لم يحدث، على رغم كل شيء فان والدي يستطيع عادة التمييز بين الاشخاص. عرف من هو جيمس هوليستر منذ البداية، ولكن جينيفر لم تقتنع.

- اوه، يا الهي!

- انت تصدقين، اليس كذلك؟

- اتمنى لو لم افعل.

- لماذا؟ لان الأمر يجعل موقفك اسوأ؟

- لا! لا. انت لن تصدق ما اقوله، ولكنني لم ارغب في المجيء الى هنا.

- اوه، فعلاً؟

- نعم، واتمنى لو اني لم افعل.

- اذن لماذا اتيت؟

- هل تصدقني اذا قلت لك.

- اشك في ذلك...

- اذن...

- لكن، افهم لماذا ارسلتك ايف الى هنا.

اتسعت عينا صوفي:

- لماذا؟

نظر آدج الى اصابعه على مقود السيارة وقال:

- لأسباب واضحة. علمت انك الفتاة التي سيحبها والدي. ناعمة تفيض انوثة، بعكس ايف القاسية.

احنت صوفي رأسها، لم تستطع ان تقبل كلياً ما قاله عن ايف. كانت لطيفة معها في الماضي. وساعدتها في الحصول على عمل في ساندتشيرش. اذا طالبت برد جميل فهذا لا يعني انها سيئة الى ذلك الحد.

- اذن ما الذي سيحدث الآن؟ نظرت اليه مستفسرة، سنغادر، على ما اظن!

www.elromancia.com

- هل ستغادر؟

صحح آدج ما قالته بتجهم.

- لا استطيع البقاء هنا...

- لم لا؟

هزت صوفي راسها بيأس:

- ليس هناك سبب...

- فعلاً؟ وماذا عن ابي؟

تحركت صوفي مكانها بارتباك:

- اذا ذهبت ايف... علي ان اذهب انا ايضاً.

- لماذا؟ لانها ستتوقع ذلك منك؟ لأن خطتها الصغيرة لم تنجح؟

- اي خطة؟

- لا تتظاهري بأنك لا تعلمين. وافقت ايف على المجيء فقط لأن الجشع يملأها.

شدت ايف خصلة من شعرها:

- هل يجب ان نتابع هذا الحديث؟ من الواضح انك تعلم كل شيء. الا يمكننا ترك الأمور على ما هي عليه؟ سأخبر ايف انه لا جدوى...

- لا.

قال لها ادج بلهجة آمرة باردة:

- ستغادر ايف وانت ستبقين.

- شهقت صوفي.

- ولكن لماذا؟

- لانني لا اريد لوالدي ان يتضايق. لا بد انك تساءلت كيف سمحت لك بالبقاء هنا مع اني علمت انك محتالة. هناك اسباب عدة، واحدها يهمك، وهو امها. مع ان والدي يبدو في صحة ممتازة، الا انه منذ عامين وهو يعاني من مرض في القلب واصيب بذبحة طرحته مريضاً لشهور عدة. والآن تعافى بفضل الادوية ومن شأن اي صدمة... في الواقع الافضل تجنيبه مثل هذه الصدمة.

- لم اكن اعلم ذلك.

- كيف لك ان تعلمي؟ وكي اطمئنك اكثر فان ايف لم تكن تعلم ايضاً.

تنهدت صوفي تنهيدة ارتياح:

- وانت تريدني ان ابقى هنا واتظاهر بانني ايف الى حين موعد مغادرتي؟

- نعم. هل اسأل الكثير؟

لم يكن طلبه كثيراً لكنها شكت في ان ايف سترى الامر بالطريقة نفسها او في انها ستغادر المكان من دون مشكلة ما. ثم سألته بارتباك:

- الا يمكنني ان اتظاهر بانني مضطرة للذهاب الى لندن للقيام بمهمة صحافية؟ عندها يمكنني ان اغادر انا وايف معاً.

انتظرت اجابته في انقباض. سألت ذلك السؤال بعدما فكرت في انها قد تكون الطريقة الوحيدة لاقناع ايف بالمغادرة من دون ازعاج جدها. وان من الافضل لها ان تغادر وهي تدرك ان بقاءها سيؤلم مشاعرها نحو آدج.

لم تكن مهيأة لرد فعل آدج على اقتراحها. ضاقت عيناه وبان الغضب فيهما واستدار في مقعده وامسكها باحكام من كتفيها واصابعه تغرز فيهما وتمتم بغضب:

- ايتها الانانية! اليس لديك الاخلاق الكافية كي تنهي ما بدأته!

- انت لا تفهم...

- لا تقولي هذا! ما الخطب؟ هل انت خائفة من البقاء هنا، هل هذا ما في الأمر؟ هل تخافين من ان انتهز الفرصة لاستفيد من عرضك؟

- عرض؟ اي عرض؟

- هذا!

صاح فيها وشدها نحوه وعانقها:

- آدج! آدج لا تفعل هذا!

- لماذا، واستمر... قائلاً، لم يكن رد فعلك مماثلاً ليلة امس...

حاولت صوفي ابعاده عنها لكن من دون جدوى ثم فكرت... بان آدج لا يحبها! الم يبين لها مدى احتقاره لها. هل تريد ان يحتقرها اكثر. ابعدته عنها ونظرت اليه وقالت:

- اعدني الى المنزل!

كان تعبير آدج محيراً لكنها اعتقدت انها رأت نظرة احتقار في عينيه.

www.elromancia.com

تحرك واسند نفسه الى الباب. لم يقل شيئاً. فقط نظر اليها. وتحركت صوفي تحت وطأة نظره وكأنها عينة تحت ميكروسكوب. ثم استدار نحو مقود السيارة ببطء وخاطبها:

ـ يمكنك ان تخبري ايف بانها ان لم تغادر ترينيداد غداً مساء فسأجعل الشرطة تلقي القبض عليها متلبسة شخصية مزيفة!

٩ ـ ضائعة وسط الجميع!

ـ انه يعني ما يقوله يا ايف، حتماً!

تكلمت صوفي بيأس، بينما ايف بقيت مستلقية في الفراش تدخن سيكارة، وبدت غير متأثرة بما كانت صوفي تقوله. كان الوقت صباح اليوم التالي عندما جاءت صوفي لتتحدث الى ايف بعد أن رفضت الاخيرة التحدّث اليها في الليلة السابقة.

ـ ياعزيزتي، بدأت تزعجينني. ما لا تستطيعين فهمه هو أنّ آدج متورط في هذه القضية الى العنق، ألا تفهمين ذلك؟ لا يستطيع أن يطردني أو ان يفضحني! من دون أن يخلق الوضع ذاته الذي يتمنى أن يتجنبه!

ـ لا تقصدين.. ايف لن تفعلي.

ـ لن أفعل ماذا؟ أخبر جدي أنك لست حفيدته في نهاية المطاف.

www.elromancia.com

سأفعل اذا اضطررت.

ـ اوه، ايف!

ـ لكنني لن أفعل، قالت ايف وتنهدت، ألا ترين يا صوفي؟ لا يمكن لآدج أن يدع هذا يحصل. ليس الآن.

استدارت صوفي بعيداً بتعب.

ـ اذن ما الذي ستفعلينه؟

ـ سأتحدث مع خالي المحترم، أجابت ايف بهدوء، وأفسّر له مصاعبه ومصاعبي. اني متأكدة بأننا سنصل الى تسوية ما.

ـ ايف، هذا ابتزاز!

ـ لا تبالغي في كل شيء يا صوفي! سيتفهّم وضعي تماماً. دعيني أتصرف.

ـ لكنني لا أريد أن اكون جزءا من كل هذا.

ـ انت اخبرتني بنفسك أنه يتوقع منك أن تبقي. بعد اسبوعين ينتهي كل شيء.

ـ لست ادري!

وتمنت صوفي لو أنّ لها هذه الثقة.

انقضى الصباح بصورة طبيعية. أراد بيرز ان يسبح ومع أن صوفي وافقت على الذهاب معه، إلا انها لم تسبح. فقد كان تفكيرها منهمكاً الى درجة لم تستطع معه أن تتمتع وتسترخي، وبعد أن سبح بيرز بعض الوقت، عاد وجلس بالقرب منها على الصخور. وسألها:

ـ ما الخطب؟ تبدين قلقة.

ـ فعلاً؟ ولا أدري لماذا.

ـ انها صديقتك، هي السبب اليس كذلك؟ لقد ازعجتك.

شهقت صوفي:

ـ يا للسماء، لماذا تظن ذلك؟

هز بيرز كتفيه:

ـ لست ادري مجرّد حدس، على ما اعتقد. ظهرت بصورة غير متوقعة. واقامتها هنا، أعلم أنّ براندت أصرّ على استقبالها، لكن يبدو أنها قبلت

الاقامة هنا.

احنت صوفي رأسها:

ـ انك واهم.

ـ كلا، أنا لا اتخيّل. ولديها قداحتك أيضاً.

نظرت صوفي اليه:

ـ قداحتي؟

ـ نعم. القداحة التي تستعملها عليها الاحرف الاولى من اسمك.

ـ اوه. نعم.

بلعت صوفي ريقها بصعوبة:

ـ عندما أقلعت عن التدخين أعطيتها اياها.

ـ آوه!

بدا مشككاً، وتذكرت صوفي كم بدا منهمكاً على العشاء في الليلة الماضية. وتساءلت اذا كان آدج قد اخبره، حقيقة الامور، لكن لم يكن هناك سبب لذلك. كان بيرز يشك في الامر في أي حال، وانّ لأسباب اخرى. آه كم تزداد الامور تعقيداً!

في البيت لم تر ايف أو ادج، وارتدت صوفي ثيابها بسرعة لتناول الغداء مترقبة أن تعلم ما حدث. لكنّ أحداً لم يجبها عندما قرعت باب غرفة ايف ففتحت الباب واطلّت برأسها. كانت الغرفة مهجورة. لم تكن ايف هناك. وبينما تجيل النظر غير مصدقة في انحاء الغرفة تنبهت الى أن حقيبة ايف لم تكن موجودة ولا ملابسها. فتحت باب الغرفة على مصراعيه ودخلت الغرفة وأدركت أنّ مخاوفها لها ما يبررها. اختفت كل اغراض ايف من الغرفة. لم يكن أحد يشغل الغرفة. احتاجت الى بضع دقائق لتستوعب حقيقة أنّ ايف غادرت فجأة كما جاءت. ولكن الى أين ذهبت ولماذا لم تخبرها قبلاً. جلست على السرير بضعف وحاولت أن تستجمع افكارها. علمت ايف بمشاعر صوفي بالنسبة الى اقامتها هنا. لكن لا يمكن لها أن تغادر من دون أي اشارة! ربما تركت رسالة، تفسر فيها تصرفاتها، لكنها لم تجد شيئاً هنا. كذلك لم تجد شيئاً في غرفتها أيضاً. نزلت الى غرفة الطعام وهي تشعر بالوهن والضعف. ما الذي يجري؟ رأت فوراً أن آدج لم يكن

www.elromancia.com

يتناول طعام الغداء في المنزل رأت براندت وبيرز وورورا فقط في انتظارها على الشرفة وابتسمت معتذرة قبل أن تجلس. فهي لم ترد لبراندت أن يشك في اي شيء . . ليس الان. كانت صامتة اثناء تناول الطعام. وأخيراً قال براندت:

ـ لسوء الحظ أن الانسة سلاتر اضطرت الى مفارقتنا بهذه الصورة الفجائية، أليس كذلك؟ لكن لا بأس، اعتقد أنك سررت بزيارتها القصيرة.

تبادلت صوفي وبيرز النظرات:

ـ انت تعلم أنها . . غادرت؟

ـ طبعا. آدج اخبرني قبل أن يأخذها الى المطار. كان من حسن حظها أنها استطاعت ايجاد مكان لها على الطائرة.

ـ هل . . . هل أخبرتك عن سبب اضطرارها المفاجيء الى الرحيل؟

ـ نعم، بسبب عملها. لكن يسعدني أن اعلم أنك لن تغادري يا ايف.

نظرت صوفي الى صحنها. اذن ايف ذهبت كما قالت! لكن هل حصلت على ما أرادت؟ كادت صوفي أن تهز رأسها وهي تفكر. والاّ كيف وافقت على الرحيل من دون احداث جلبة؟ ولكن ما هو رأي آدج فيها . . . فيهما؟ بقيت صوفي في غرفتها طوال فترة بعد الظهر. وكانت تظن بين الفينة والاخرى أنّ آدج قد عاد، لكنها تكتشف خطأها، بعد أن تطل من الشرفة. كانت اعصابها مشدودة ومتوترة، وخداها متوهجين، ولم تستطع التفكير إلاّ بما كان ينتظرها عندما يعود: استلقت على سريرها بقلق متخوفة من المجابهة القريبة. ويبدو أنها نامت اذ انها استيقظت بعد فترة على صوت طرق الباب.

ـ آنسة ايف! آنسة ايف! هل أنت هناك؟

فتحت صوفي عينيها وهرولت تفتح الباب. وقفت فيوليت أمام الباب وبدت منزعجة جداً.

ـ ما الخطب يا فيوليت؟ ما الامر؟

ـ هل . . . هل يمكنك أن تأتي فوراً، يا آنسة ايف. انه السيد براندت. وهو في مكتبه ولا أعتقد انه بخير أبداً.

نظرت صوفي الى الخادمة بهلع:

ـ ماذا تقصدين؟ ماذا حدث له؟ أين ادج؟ هل هو وحده؟

وفيما هما تهبطان السلم فسرت فيوليت الامر:

ـ جوزف هو الذي اخبرني، يا آنسة. كان قد ذهب الى المدينة لاحضار بعض الاغراض لي ثم ذهب لرؤية السيد براندت اثر عودته. كان السيد بخير وقتئذ. تحدّث الى جوزف. وسأله عن رحلته. ثم بعد ربع ساعة عاد جوزف ليسأله اذا كان يرغب في تناول بعض الشاي فوجده على طاولته، واغرورقت عينا فيوليت بالدمع وسألتها:

ـ سوف يكون بخير، اليس كذلك يا انسة ايف؟

هزّت صوفي رأسها يأساً. لم تعرف بماذا تفكر. هرعتا عبر القاعة ثم الى مكتب براندت. وكما وصفت فيوليت الحادث، كان براندت ملقى فوق مكتبه فيما كان جوزف يفرك يديه بقلق ظاهر. ترددت صوفي لحظة ثم سارت نحو المكتب ووضعت أصابعها على جبهة براندت. شعرت بالنبض لكنها هلعت عندما أحست بضعفه وهتفت محاولة الامساك بزمام الامور:

ـ اطلبوا الطبيب، فيوليت، هل يمكنك الاتصال بطبيب؟

قفزت فيوليت من مكانها.

ـ نعم يا سيدتي. هل سيكون بخير يا آنسة ايف؟

فتحت صوفي فمها كي تجتج . . . لتقول انه ليس لديها ادنى فكرة عن الموضوع ثم أطبقته ثانية. كانت فيوليت وجوزف مثل الاطفال الذين يحتاجون الى طمأنينة. أرادا أن تقول لهما أن كل شيء سيكون على ما يرام حتى لو لم يكن الامر هكذا.

ـ طبعا، كل شيء سيكون على ما يرام، قالت صوفي بثبات، أعتقد انه غاب عن الوعي فقط. هذا كل ما في الامر. افعلي كما اقول لك واتصلي بالطبيب. هل . . . هل عاد السيد آدج؟

ـ كلا، يا آنسة ايف.

أجابها جوزف، وأنّبت صوفي نفسها لأنها سألت ذلك السؤال السخيف. لو كان آدج هنا، لأمسك هو بزمام الامور. هرولت فيوليت بعيداً كي تتصل بالطبيب وقالت صوفي لجوزف:

ـ ساعدني في وضعه على الاريكة.

أوما جوزف برأسه واستطاعا معاً نقل براندت الضخم الى الاريكة ومدداه بشكل مريح. ثم جلست صوفي قرب براندت ووضعت وجهها على صدره. شعرت أنّ دقات قلبه أصبحت اقوى بقليل، لكنها لم تعلم اذا كانت تتوهم الامر أم لا.

وسألها جوزف:

ـ هل هناك ما استطيع فعله يا آنسة ايف؟

نظرت صوفي اليه وقالت:

ـ لا، لا اعتقد ذلك. ما الذي حدث؟ قالت فيوليت انك وجدته صحيحاً عندما عدت من البلدة.

ـ هذا صحيح يا آنسة ايف. كانت الانسة جانين معه.

اهتز رأس صوفي:

ـ جانين فليمنغ؟

ـ نعم يا آنسة.

ـ وما الذي كانت تفعله هنا؟

هز جوز ف رأسه:

ـ لست ادري يا آنسة.

ـ كلا، بالطبع لن تعرف.

فكرت صوفي في الامر. ما يمكن جانين أن تفعله هنا بينما آدج غائب عن المنزل؟ مع أنها قد لا تكون مدركة انه غائب. اضطرب عقلها من كثرة انشغالها. هل يعقل أن يكون لزيارة جانين علاقة بحال براندت؟ بدأت تتساءل اذا كانت جانين قد علمت بهويتها الحقيقية بطريقة ما وانتابها قلق شديد. ماذا لو انها جاءت هنا لهذا السبب؟ ماذا لو أنّ معرفة براندت بحقيقة حفيدته كانت السبب في اصابته بالنوبة القلبية؟ هناك احتمالات عدة. ولم يستطع عقلها أن يستوعبها. كانت لا تزال جالسة قرب براندت عندما سمعت وقع اقدام تقترب ورأت آدج يدخل الغرفة. انتقلت نظراته من صوفي الى الرجل ... ونهضت صوفي بارتباك عندما جاء آدج ليفحص والده. ولدهشتها رأته يضع يده في جيب والده ويخرج علبة دواء

ويأمرها:

ـ احضري بعض الماء.

وركضت تحضر كوبا. اجلس ادج والده قليلاً، ودفع بحبتي دواء الى فمه مما جعله يصحو لوقت مكنه من ابتلاعهما. ثم سكب بعض الماء في فم براندت، ودهشت صوفي عندما رأت عينيه تطرفان. ثم مدده ادج ثانية وسألها بقسوة:

ـ ما الذي حدث، ماذا قلت له؟

ـ انا؟ ... انا لم أقل شيئاً.

حدّق آدج في وجهها للحظة ثم استدار نحو والده قائلا:

ـ سمعت انك طلبت الطبيب.

ـ انا ... انا فكرت أنّ هذا افضل ما يمكنني فعله. هل سيتعافى؟

ـ آمل في ذلك. لحسن الحظ وصلت في الوقت المناسب.

ـ اعلم أنك اخبرتني بانه يتناول الدواء. لكن لم أكن أعلم اين الدواء ... لم اكن اعلم ماذا افعل!

ـ كان يمكن لروزا أن تعلم، هل سألها احد؟

ـ لا أعتقد فقد جاءت فيوليت تطلبني.

ـ لا بد انها فعلت!

ترددت صوفي ثم قالت:

ـ من الافضل أن أذهب. هل ستخبرني بما يقوله الطبيب؟

ـ أريد أن أتكلم معك في ما بعد.

ـ نعم. حسنا ... اعذرني.

كانت صوفي لا تزال في القاعة عندما ظهرت فيوليت:

ـ سيصل الطبيب بعد قليل، كيف أصبح الآن؟

ـ السيد آدج معه فيوليت. الانسة فليمنغ كانت هنا كما أخبرني جوزف. ما الذي كانت تريده؟

هزت فيوليت كتفيها:

ـ لم تخبرني يا آنسة ايف. فقط قالت ان لديها ما تقوله للسيد براندت. أعتقد أنها كانت توصل رسالة من والدتها عن ليزا.

ـ ليزا، رددت صوفي من دون أن تدرك ما تردد. تقصدين الفتاة... الفتاة التي...

وفجأة لم تستطع أن تتابع الكلام. تذكرت ليلة امس والمشاجرة التي دارت بينها وبين ايف، ليزا كانت واقفة خارج بابها تنصت الى الحديث...

ـ نعم، يا آنسة ايف تلك الفتاة التي كانت مصدر ازعاج هنا، يبدو أنها عرضت أن تعمل لحساب السيدة فليمنغ وقد قبلوا خدماتها.

ـ هل فعلوا حقاً؟

شعرت صوفي بالوهن. وبدأت فجأة تتبيّن ما يجري ولم تحب ما أدركته. ما الذي سيظنه آدج عندما يعلم بالامر؟ هل سيصدّق انها لم تقل شيئاً؟ ماذا لو كانت جانين هي المسؤولة عن اخبار والده حقيقة الامر؟ كانت فيوليت تنظر اليها ببعض الاستغراب الآن وسألتها باهتمام:

ـ هل انت على ما يرام، يا آنسة واردفت بحنان، لا تدعي الحادث الذي ألمّ بالسيد براندت يقلقك كثيراً. قال السيد آدج ان لا داعي للقلق، فالسيد براندت سيتعافى.

لكن آدج قال ذلك بالمنطق نفسه الذي قالته هي فيه. وهزّت رأسها واستطاعت أن تطمئن فيوليت وسارت ببطء الى القاعة الداخلية. ما الذي ستفعله؟ اذا اصيب براندت فعلا بنوبة قلبية، اذا توفي... لكن لا، لا يمكن أن يحصل هذا، خاطبت نفسها بيأس. لا يمكن أن تكون طرفاً في مثل هذه المشكلة. عليه أن يتحسّن، مهما علم عن الحقيقة، كيف لها أن تبقى هنا الآن اذا علم براندت بالحقيقة؟ قد لا يريد أن يراها ثانية. أما بالنسبة الى آدج...

هزّت رأسها ومسحت الدموع التي أخذت تنهمر. كان البكاء ردّ فعل جباناً وضعيفاً. جاءت الى هنا بارادتها، ولم يجبرها أحد على المجيء، وكان عليها أن تواجه النتائج. ولكن الان... وباندفاع مفاجيء، دخلت الى القاعة وامسكت بدليل الهاتف ووجدت رقم هاتف عائلة فليمنغ. اتصلت بالرقم ورفضت أن تفكر فيما كانت تفعله وعندما ردّت الخادمة طلبت التحدث الى الآنسة جانين فليمنغ.

ـ الانسة فليمنغ ليست في المنزل، اجابتها الخادمة بتهذيب، هل أنادي السيدة فليمنغ.

ـ اوه. كلا... كلا، لا بأس.

بدأت صوفي ترتاح عندما سمعت اصواتاً في الطرف الاخر من الهاتف ثم جاءها صوت هوارد فليمنغ.

ـ ايف، ايف، هل هذا انت؟

ايقنت صوفي أن هوارد فليمنغ لم يكن يعلم بعد بشخصيتها الحقيقية فارتاحت بعض الشيء واجابته:

ـ نعم أردت التحدث الى جانين، لكن لم يكن الامر مهماً.

ـ الا أنفع أناً عوضاً منها؟ تبدين منزعجة. هل وقع مكروه؟

ـ في الواقع، اجل. انتابت براندت وعكة ونحن في انتظار الطبيب.

ـ يا الهي! بدا هوارد متأثرا فعلاً، هل في استطاعتي أن أفعل اي شيء؟

ـ كلا. شكراً لك. عليّ أن انهي حديثي معك. أعتقد أنّ الطبيب وصل الآن.

وهكذا كان. ظهرت فيوليت التي قادته عبر السلم الى مكتب براندت بينما تجوّلت صوفي في غرفة الصباح والشرفة وتساءلت عن مكان وجود بيرز. ربما ذهب في المركب الشراعي. تمنت لو كان هنا الآن. فهي كانت في حاجة الى وجوده قربها.

ثم سمعت أصواتاً في القاعة وسارت نحو باب الغرفة لترى الطبيب يغادر. ودلّ قصر زيارته على أنّ الامر ليس خطيراً، لكنها لم تتجاسر أن تؤكد استنتاجها. رافق آدج الطبيب الى سيارته، وسارت صوفي نحو باب المكتب المفتوح. كان براندت لا يزال مستلقياً حيث وضعته هي وجوزف. وعيناه لا تزالان مغمضتين. لكن بدا ان تنفسه قد انتظم. كانت صوفي تهبط السلم عندما التفت آدج.

ـ انه نائم الآن، وربما سينام بضع ساعات. لكن ليس هناك ما يقلق.

ـ اوه، الحمد لله.

كان تعبير آدج غامضا:

ـ اقترح عليك ان تذهبي وتتناولي بعض الشاي. يبدو أنك بحاجة الى

ذلك. سوف اكلمك في ما بعد.

اومأت صوفي برأسها وذهبت. على الاقل لن يموت براندت. وهذا أهم شيء في الموضوع.

كانت ترتدي ثياب العشاء عندما جاءت خادمة تخبرها بأنّ مكالمة هاتفية تنتظرها.

ـ لي انا؟

فوجئت صوفي. من يمكن ان يتصل بها؟ تحدثت من القاعة، وحملت السماعة بانتباه ووضعتها على اذنها بتردد.

ـ ايف هوليستر من المتحدث؟

ـ شخص يعلم أنك لست ايف هوليستر.

قال صوت نسائي علمت صوفي فوراً انه صوت جانين:

ـ فهمت أنك اتصلت بي في وقت سابق اليوم.

جلست صوفي حائرة على السلم. فقد فاجأتها كلمات جانين ولم يكن لديها ما تقوله.

ـ حسنا؟ كان عليك أن تعلمي أنّ أمرك سينكشف عاجلاً أم آجلاً.

ـ هل... اخبرت براندت؟

ـ ليس بعد. ولكني سأفعل إذا لم تغادري فوراً.

شعرت صوفي بنفسها منهكة:

ـ تريدين مني أن اغادر؟

ـ هذا صحيح. غداً اذا أمكنك، كان عليّ أن أعلم أنّ الطريقة التي كنت تنظرين فيها الى آدج... ثم قطعت حديثها فجأة. في أي حال أنا اعلم الآن ولن أتردّد في كشف حيلتك! لا أعلم لماذا جئت الى ترينيداد. أو كيف حصلت على عنوان براندت، الاّ اذا كانت ابنة جينيفر الحقيقية وراء كل ما يحصل. لكن من الافضل لك أن توضّبي حقائبك من الآن والاّ سيكون لدى عائلة سانت فينسنتي أمور اخرى تشغل بالها.

ادركت صوفي أنّ الفتاة قد أقفلت الخط بعد حديثها. لقد هدّدتها ولم تشك صوفي في أن جانين عنت ما قالته. سوف تخبر براندت. فهي لم تكن تخاف خسارة اي شيء. جاءت مكالمة هاتفية اخرى وانشدّت صوفي عندما

نهض آدج ليجيب، لكنه بدا مشغول البال عندما عاد ولم يجلس ثم قال مخاطبا عمته:

ـ يجب أن أخرج يا روزا! تعرّض بعض عمالنا لمشكلة في المدينة وعليّ أن أذهب سوف اراك لاحقا.

ولمعت عيناه وهو ينظر الى صوفي وأدركت انه كان ينبهها الى أنها لن تنجو من الحديث المقبل معه. لكن لأي هدف؟ سألت نفسها بعد رحيله. لم يعد مهماً اذا طلب منها البقاء أو الرحيل. فجانين عنت ما قالته. كانت ستخبر براندت. وكان على صوفي ان تقرر اذا كان من الاسهل عليها أن تبقى أو تذهب.

عندما انتهت وجبة العشاء خرج بيرز، واندفعت صوفي خارج المنزل ونزلت السلم الى الرصيف الحجري. كان الهواء قوياً في تلك الامسية وتطاير شعرها على وجهها واقشعرّ بدنها. لكن على الاقل كان الهواء بارداً ومنعشاً وأزال غشاوة الهم والارتياب عنها.

كان الموج غير الاعتيادي يجعل المركب والقارب يرتطم واحدهما بالآخر، وسارت صوفي نحوهما ببطء وهي تراقب حركاتهما غافلة. لكنها تنبّهت الى أنّ الحبال التي تربط المركب بالمرساة كانت سائبة. فاما أنّ بيرز لم يربطها جيداً أو أنّ الريح هي السبب، لكن المؤكد أنّ المركب كان على وشك أن ينحرف الى عرض البحر. نسيت صوفي همومها للحظة وانحنت كي تلتقط الحبل. وكادت الريح وموجة مفاجئة أن توقعاها لكنها تمكنت من استعادة توازنها وانحنت ثانية كي تربط الحبل لتكتشف أنّ حلقة المرساة قد تآكلت من الصدأ وهذا فسر كيف أفلت حبل المركب في الاساس. نظرت حولها وهي ممسكة بالحبل تحاول ايجاد مكان مناسب لربطه به لكنها لم توفق. كان أملها الوحيد في ان تربطه الى مرسى القارب الثاني وأن تأمل في أن تتحمّل المرساة الاثنين معاً.

إلاّ أنّ يديها أصبحتا باردتين وأفلت الحبل فجأة من يدها بسبب الريح. وتأرجح المركب كفلينة واختفى الحبل في الماء على بعد بضعة سنتيمترات في الرصيف.

ـ آه، اللعنة!

حدّقت صوفي في المركب الصغير بانزعاج. لو لم تنزل الى هنا لما كانت علمت بالامر لكنها الان لا تدري ماذا تفعل. بالكاد كان في امكانها أن تصرخ طلباً للنجدة في الوقت الذي كان فيه براندت طريحاً. اذن ماذا في امكانها أن تفعل. تتركه وتأمل في ألاّ يجرفه الموج؟ أو تحاول ان تنقذه؟

نظرت الى تنورتها ذات الثنايا وقميصها وفكرت انها لو حاولت الامساك بالحبل ستتسخ ثيابها. ومن ناحية اخرى فان ثيابها الداخلية تنفعها اكثر. وبحركة فجائية. خلعت ثيابها وقفزت في الماء. شعرت بلسعة البرد لكنها سرعان ما اعتادت عليها. كانت المياه لا تزال أدفأ بكثير من المياه في وطنها. واستطاعت ان تصل الى المركب، وامسكت بالحبل، ثم استدارت وحاولت ان تجذبه نحو الشاطىء لكن لسوء الحظ عاكسته الرياح وآلمتها يدها. وشعرت بضيق فظيع، وبدأت تشعر بقساوة البرد وعلمت ان عليها التخلي عن مهمتها عاجلاً أم آجلاً ثم أصابها تشنج ووجع مؤلم في ساقها اليسرى جعلاها تشهق وتترك الحبل وتنزل تحت الماء للحظة. ثم تصعد من تحت الماء مذعورة وهي تحاول التقاط انفاسها، غير متمكنة من تصور طريقة للعودة الى الشاطىء. وعوضاً من ذلك، امسكت بجانب القارب وقفزت الى داخله وهوت على متنه. شعرت بارتياح عارم لخروجها من الماء ولشعورها بأنّ تشنج ساقها بدأ يخف، لكن وهلة الاستراحة الاولى اختفت وبدأت تشعر بأحاسيس اخرى. شعرت ببرد شديد جعل اسنانها تصطك، وأخذ الشاطىء يبتعد عنها رويداً. ركعت وهي مذعورة وتساءلت عما يمكنها أن تفعل. حتى لو عرفت الطريقة لذلك فانها شكّت في ما اذا كانت تجسر على رفع الشراع في مثل هذه الريح القوية، وقد تسحب الريح المركب الى عرض البحر.

علمت أنّ املها الوحيد هو في الغطس في الماء والسباحة نحو الشاطىء. فاذا ما بقيت حيث هي، فمن الممكن أن يحدث أي شيء لها. قد ينقلب المركب وثم... مسدت قدمها مرة اخرى ثم وقفت ومن دون اعطاء نفسها المجال للتفكير ثانية في الامر قفزت من المركب وسبحت في اتجاه الصخور. غطت المياه رأسها مرات عدّة، وبصقت الماء مرات عدة من فمها لكنّها استمرّت في السباحة، لم تشعر بالصخور بعيدة الى هذا الحد في السابق.

واخيراً أقرّت لنفسها بأنها لن تستطيع الوصول اليها. وكان أملها الوحيد في الوصول الى الرأس الصخري على بعد امتار عدّة منها. وبدا الرأس مرعباً ولم تر ما تتمسّك به كي تخرج من الماء، لكن لم يكن لديها أي خيار. واخيراً وصلت الى الرأس، وسحبت نفسها من الماء وهي تشعر بتلاشي قواها. ومزق سطح الصخرة الخشن أصابعها وهي تحاول أن تنهض.

وجدت حافة ضيقة على سطح الصخرة تكفي لدس جسمها فيها فألقت رأسها المتعب على الصخرة الخشنة. على الاقل كانت في مأمن في تلك اللحظة. لم تغمر المياه هذا الجزء من الرأس الصخري وفكرت أنها ستحاول السباحة الى الشاطىء ما ان تستجمع قواها. وشعرت بالبرد وبالتعب وبعصبية خفيفة، لكنها نسيت متاعبها الاخرى في تلك اللحظة.

١٠ - الحنان الى الأبد

سمعت صوفي اصواتاً ملحة غاضبة تناهت اليها عبر المياه كموجات، مثل ارتفاع الموج. . . رفعت نظرها وحاولت ان تتحرك. شعرت بكل عظمة في جسدها تؤلمها من شدة تعبها، رغم انها نامت، وحاولت ان تبقى مستيقظة لكن البرد جعلها ترغب في اغلاق عينيها. كانت تعلم انه يجدر بها ان تحاول العودة الى الشاطىء، لكن المياه بدت مائجة وعدوانية واخبرت نفسها انها ستبقى لفترة اخرى. لكن الآن. . . الآن سمعت اصواتاً، يجب ان يراها احدهم لكن كيف لهم ان يستطيعوا؟ فقد خيمت الظلمة ولم يكن ثمة ضوء قمر، والضوء الشحيح لم يكن كافياً كي يبين شكلاً جمد في مكانه واستلقى على الصخر، الا اذا استطاعت لفت انظارهم بوسيلة اخرى. استطاعت ان تتحرك ثم نظرت بيأس نحو الشاطىء. كانت لا تزال تسمع

الاصوات لكنها شعرت انها تبتعد، واذا لم تتصرف بسرعة فسوف تختفي.

- النجدة، صاحت بصوت خافت، ثم بصوت اقوى، اوه، ارجوكم ساعدوني!

حملت الريح صوتها بعيداً. ابتعدت الاصوات اكثر وجعلها الرعب تصرخ بشكل هستيري:

- النجدة، اوه يا الهي انا هنا! ساعدوني!

ساد الصمت للحظة وبدا كأن اسوأ مخاوفها قد تحقق، لكنها عادت تسمع الاصوات وعلمت انها تقترب نحوها.

- صوفي! كان ذاك صوت آدج، صوفي هل تستطيعين ان تسمعيني؟

- نعم، اجابته وصوتها يضعف، الحمد لله انك سمعتني!

ثم تهدج صوتها اكثر واجهشت في بكاء هز كيانها.

- اهدأي، انا مقبل لنجدتك!

صاح آدج، وسمعته بوجه اوامره الى من كان برفقته. سمعت صوت محرك قارب يقترب وصوت آدج يناديها في استمرار مشجعاً لكنها بالكاد ادركت اقترابه. فقد جعلتها الصدمة والبرد تفقد السيطرة على نفسها. وعندما اقترب القارب من الصخرة صاح آدج مرة اخرى:

- اذا رميت حبلاً، هل في استطاعتك الامساك به؟

حاولت صوفي ان تنهض نفسها:

- سأحاول.

رمى ادج الحبل اليها. فانطرح قربها وكان من السهل عليها ان تلتقطه. لكن اصابعها كانت متجمدة الى درجة لم تتمكن معها من التقاطه وابتعد الحبل عنها. لم يسألها آدج مرة اخرى. وبدلاً من ذلك اقترب بالقارب ثم انحنى وقفز منه الى الصخرة ليقف على حافتها بالقرب منها.

- اوه، صوفي!

تمتم قائلاً ثم تابع بصوت مكسور:

- ظننت انك قتلت نفسك؟

نظرت صوفي اليه وهي ترتجف، وتحاول الوقوف على قدميها، ومن دون ان يكترث لتبللها قرّبها اليه واحتواها بذراعيه.

- يا الهي، قال وهو يئن، انك ترتعدين من شدة البرد! تعالي! لن يطول بنا الأمر الآن يجب ان اعيدك.

كانت صوفي مسرورة ان تبقى حيث هي بين ذراعي آدج. فهي تشعر بالانتماء الى هذا المكان. لم تذكر مشوار العودة الى الشاطىء كثيراً. غطاها جوزف الذي كان يرافق آدج بالاغطية بينما قاد آدج المركب. ثم وصلوا الى الرصيف وحملها آدج نحو المنزل.

- انني ... ثقيلة يا آدج، في استطاعتي المشي!

- اشك في ذلك.

تمتم آدج عجباً، ثم تجاهل احتجاجاتها المتلاحقة. لاقتهم فيوليت الى مدخل المنزل، وبدا القلق واضحاً على وجهها:

- اوه يا سيد آدج لقد وجدتها! هل هي بخير؟

- ستصير كذلك، اذهبي وجهزي الحمام.

- نعم يا سيد آدج.

هرولت فيوليت صاعدة السلم ولحق بها آدج غير منزعج من حملها. وتركها تقف عندما وصل بها الى غرفتها وقال لها باقتضاب:

- استحمي الآن! ابقي ما يطيب لك من الوقت في الماء، لا داعي للعجلة.

وما ان اصبحت صوفي في المياه الدافئة حتى سألت فيوليت عن الساعة.

- الا تعلمين انها قاربت الثانية بعد منتصف الليل!

- الثانية؟ ولكن... ولكن لماذا لا يزال الجميع مستيقظين؟

نظرت فيوليت اليها نظرة تقليدية.

- اوه يا آنسة يا له من سؤال! فقد السيد آدج نصف رشده وهو يبحث عنك وارسل السيد بيرز الى عائلة فليمنغ ليرى اذا ذهبت الى منزلهم مصادفة. وقبعت صوفي في المياه الساخنة. وبدأت تشعر بالدفء مجدداً...

- ولكن ... متى افتقدني؟

- قرابة الحادية عشرة مساء، عندما عاد السيد آدج من المدينة. اراد ان يراك وعندما لم نجدك بدا مقتنعاً بانك هربت.

رددت صوفي.

- هربت؟

- نعم يا انسة صوفي... هذا اسمك؟

نهضت صوفي واقفة في الماء.

- كيف عرفت اسمي؟

- لم هذا السؤال الجميع يعلم يا آنسة.

- الجميع؟ امتقع خدا صوفي؛ براندت... اعني... السيد براندت ايضاً؟

- الجميع.

قال صوت من القاعة، واستدارت صوفي لترى آدج مستنداً بكسل الى الباب. وفوراً عادت الى الجلوس في الحوض وتخضبت وجنتاها.

- يجب الا تكون هنا يا سيد آدج!

وبّخته فيوليت وهي تلملم ثياب صوفي وتضعها في سلة الغسيل.

- تستطيع ان تتحدث اليها في ما بعد.

- هذا ما سأفعله يا فيوليت، قال آدج بلهجة الواثق، ولكن استعجلي فصبري بدأ ينفد.

ثم استدار وابتعد. اعياها التفكير في ما سمعته، ولم تجسر على التفكير في ما قاله ولماذا لا يبدو غاضباً. ارتدت صوفي ثيابها وبعد ان اطمأنت فيوليت الى ان لديها كل ما تحتاجه غادرت الغرفة. كانت صوفي تجلس امام المرآة تسرح شعرها عندما فتح الباب وظهر آدج. دخل الغرفة بصورة مألوفة واغلق الباب خلفه، وبدأ قلبها يخفق بقوة. وضعت الفرشاة جانباً وراقبته يقترب منها في المرآة ويلمس كتفيها. ثم ابتعد عنها قليلاً وسحب علبة سكائر واشعل واحدة. لاحظت ان يديه كانتا ترتعشان قليلاً وهو يشعل السيكارة. ثم سار بعيداً عنها نحو الشرفة. وطرق قلبها مرة اخرى. ماذا سيحدث الآن؟ هل سيعود الى تصرفه المتهكم مرة اخرى؟ لكنها لم تر اي سخرية في وجهه عندما استدار نحوها. بل على العكس بدا تعبيره متوتراً وسألها بهدوء:

- اتشعرين بأنك على ما يرام؟

- انا... انا بخير. اني متأسفة لأنني سببت المتاعب لكم.

- متاعب؟ ورفع عينيه نحو سقف الغرفة، اوه، يا الهي، لو تعلمين اي متاعب!

- اني آسفة.

- لماذا؟ استحق اكثر من ذلك. يا الهي، عندما علمت انك مفقودة، فانا... ثم هز رأسه، حسناً، لا يهم الأمر الآن، كيف وصلت الى هناك؟

- كنت احاول اعادة المركب الشراعي.

- المركب؟ وبدا فاقد التعبير، ابحرت بالمركب.

- كلا، لم ابحر به. المرساة تآكلت من الصدأ وكان المركب غير مربوط، وحاولت استراجعه.

- فهمت. اذن لهذا السبب خلعت ثيابك. يا الهي عندما وجدتها ظننت فعلاً... ظننت...

واستدار فجأة وكأنه لم يقو على الاستمرار في الكلام. وشعرت صوفي بدفق من العاطفة يسري في اوصالها. ولكن قبل ان تتمكن من قول اي شيء، تابع حديثه:

- اتعلمين، اكتشفت هذا المساء عندما استيقظ والدي انه كان يعلم انك لست ايف.

جمدت صوفي:

- وهل كان هذا سبب... بسبب...

- تعنين سبب اغماءته؟ كلا، فقط نسي ان يتناول الدواء. هذا كل ما في الأمر.

وشعرت صوفي بموجة ارتياح تغمرها.

- ولكن... لكن من اخبره. جانين قالت...

ثم صمتت عندما رأت عيني آدج تضيقان، لكنه حثها على متابعة الكلام.

- نعم، ماذا قالت جانين؟

- اوه... اوه لا شيء.

- تعتقدين ان جانين اخبرته، اليس كذلك؟ هل هددت بان تفعل

ذلك؟

- ربما فعلت لا اذكر.

- في الواقع على رغم اخطائها، فجانين لم تخبره.

- اذن... اذن كيف...

لم تتمكن صوفي ان تفهم. ونظر آدج بمرارة وقال:

- فتح برقية كانت موجهة اليك ظناً منه انها قد تكون مهمة. جلبها جوزف معه عندما عاد الى المدينة، وانت لم تكوني موجودة وهكذا... اعتقد انك انت التي ارسلت البرقية!

- البرقية!

حتى تلك اللحظة كانت صوفي قد نسيت امر البرقية التي ارسلتها، اذ وصلت ايف في اليوم نفسه الذي ارسلت فيه البرقية، نظرت بوهن الى آدج الذي تابع قائلاً:

- انت ارسلتها اليس كذلك؟ استطيع ان ادرك ذلك من تعبير وجهك. شكراً للسماء انك فعلت ذلك!

ارتبكت صوفي وسألته هامسة:

- ولكن لماذا؟

- الا تدركين ان تلك البرقية ترفع اللوم عنك؟ دلت كلماتها بوضوح انك وافقت على المجيء الى هنا فقط لأنك اعتقدت ان براندت على وشك ان يموت وانك بالتالي متورطة في عملية الابتزاز.

فردت صوفي ذراعيها وسألته:

- ولكن كيف وصلت البرقية الى هنا؟

- بالسبل العادية. لم يكن من سبيل للاهتداء الى ايف في لندن. ومن الواضح انها ابلغت جيرانها انها ستغيب بعض الوقت. ولذلك اعيدت البرقية الى هنا.

- فهمت الآن.

قالت صوفي واومأت برأسها. ثم اطرقت:

- ولكن كيف تأكد لك اني لم ارسلها كعملية تغطية؟

نظر اليها آدج بنفاد صبر.

- هل فعلت؟

- كلا.

- اني اصدقك. انا اصدق حدسي. انت ببساطة لست ذلك النوع من الاشخاص. اعتقد اني علمت ذلك منذ البداية لكنني احتجت الى ارغام نفسي على قبول الأمر. اني اسف.

هزت صوفي كتفيها في ارتباك:

- لا بأس.

لم تعلم كيف تتصرف حيال ما قاله. ففي السابق كان يبدو مكروباً، وربما كان يشعر بالذنب لانه عاملها باحتقار طوال تلك المدة. ومهما شعر من انجذاب نحوها، فهو احتقر نفسه كل الوقت بسبب ذلك. ثم عاد ادج ليقول:

- قد يفاجئك ان تعلمي بان براندت كان قد بدأ يشك في انك ابنة جينيفر فعلاً.

انصتت صوفي بانتباه:

- اصحيح هذا؟

- نعم، ان المرء يكون صورة عن الاخر عبر الرسائل. من الممكن ان يكون المرء صورة من شخصية الاخر من كتاباته، ولأبي خبرة طويلة في التعامل مع الناس. وبدأ يدرك انك كنت تتجنبين مناقشته في الموضوع الذي كان يتوقع منك ان تناقشيه فيه. الدوافع وراء قبول ايف زيارته. ولكن كما ترين... واقترب ادج خطوة منها... بدأ والدي يحبك، يحب الشخص الذي هو انت، وكان خائفاً من التفتيش عن اجوبة قد تدمر العلاقة بينكما.

اسرعت خفقات قلب صوفي:

- لو كنت اعلم...

- لو علمنا جميعاً لكانت الامور ابسط بكثير. ولكن، لو لم تستنبط ايف هذه اللعبة الماكرة لما كنا تلاقينا، اليس كذلك؟

- افترض ان هذه هي الحقيقة. لكن يجب ان اخبرك بوجود سبب آخر دفعني الى المجيء.

- سبب آخر!

- نعم، قالت صوفي بارتباك، هناك مدرسة للتمثيل هذا الصيف في روما وكانت ايف تعلم اني لا استطيع دفع نفقات الدراسة بمفردي، وهكذا عرضت ان تساعدني...

واحتقن صوتها من شدة بأسها وتابعت:

- اعتقد ان هذا يجعلني سيئة مثلها، اليس كذلك؟

لم يقل آدج شيئاً، فاسرعت تتابع حديثها:

- والدك اخبرني انك اخذت ايف الى المطار هذا الصباح... اعني صباح امس.

- نعم، ولان تعبير آدج قليلاً، اعتقد انها اصبحت في لندن الآن.

- لكن كيف... اعني هل قبلت ان تغادر؟

- قبلت، بنتيجة الأمر.

- تعني... تعني اعطيتها ما ارادت.

- بالطبع لا!

وعادت الكبرياء الى نبرات صوته ثانية.

- لا اعطي مالاً الى احد اذا لم ارغب في ذلك.

- لكنها قالت...

- قالت الكثير، قال ادج مقاطعاً، بما فيه اخباري بانك وافقت على المجيء الى هنا كي تذهبي الى روما ولكنها حذفت قصة مدرسة التمثيل الصيفية واخبرتني قصة مختلفة عن رجل يهمك امره ويعمل هناك...

- اوه هذا غير صحيح!

قالت صوفي وحدقت فيه بصمت.

- اوه بل هو كذلك.

- لكنها كانت صديقتي...

- بوجود اصدقاء مثلها لست في حاجة الى اعداء.

- لا، استوعبت صوفي ما قاله، اوه حسناً افترض ان هذا كل شيء... اعني، براندت يعلم الحقيقة، وايف ستدبر امورها كما هي دائماً. وانا سأعود الى المسرح في ساندتشيرش. واذا اتيت الى انكلترا، يجب ان تتصل

بي . . .

كاد صوتها يختفي واضطرت الى ان تشيح بوجهها وتنفست بعمق محاولة ان تهدأ. فلديها من الوقت ما يكفيها للبكاء عندما يغادر. كل الوقت الى الأبد.

سمعته يتحرك وشعرت بانفاسه قربها ثم قال لها:

ـ هذه المدرسة الصيفية، هل يهمك امرها كثيراً؟

تنهدت صوفي:

ـ كانت مجرد فكرة، هذا كل شيء.

ـ اذا كنت تودين الذهاب، سأموللك انا.

كان صوت آدج خافتاً وواضحاً في آن.

التقطت صوفي انفاسها، واستدارت تنظر اليه باستغراب.

ـ لماذا . . . لماذا تفعل ذلك؟

ضاقت عينا ادج:

ـ اشعر بأنك امضيت فترة صعبة. واحاول ان افعل ما في وسعي لاصلح الامور.

احنت صوفي رأسها وهزته باصرار:

ـ لا، شكراً لك في اي حال. لا اعتقد ان الفكرة جيدة.

ـ لم لا؟ لن اربطك بشيء.

ـ انا متأكدة من ذلك لكنني . . . لكنني افضل الا اخذ اي شيء من . . . منك.

ـ لم لا؟

وامسك آدج بها من كتفيها وهزها قليلاً:

ـ يا الهي، اعلم انني تصرفت بسوء في الماضي، اعلم انني جرحت شعورك، لكنني ظننت انك تتآمرين علينا وكنت في كل مرة اكره المشاعر التي تثيرينها بي . . .

حدقت فيه صوفي:

ـ الا تعني الانجذاب؟

سألته بصوت مرتجف.

ـ حسناً. يحق لك قول ذلك ويحق لك ان تكرهيني. ولكن الا ترين انني احاول اصلاح الأمور؟

احنت صوفي رأسها:

ـ لن يتوقع براندت مني ان ابقى الى نهاية الشهر، اليس كذلك؟ اعتقد انه من الافضل لكلينا لو غادرت يوم غد . . . اعني اليوم، الا توافق؟

ـ لا! عليك اللعنة، لا اعتقد ان هذا سيكون الافضل على الاطلاق.

وارتجفت عضلة قرب فم ادج واخذت اصابعه التي امسكت بكتفيها تؤلمها، ادارت صوفي رأسها وقالت له:

ـ اني متعبة الآن. واود ان ارتاح. ارجوك!

ـ اوه صوفي . . . صوفي لا تكوني قاسية. لا اريد ان اتركك. اني احبك.

ـ آدج . . .

قالت بعدم ثبات، ثم عانقها وساد الصمت في الغرفة الدافئة المضيئة. واخيراً ابتعدت صوفي عنه قليلاً تنظر اليه واصابعها تداعب شعره:

ـ آدج؟ ماذا قلت؟

لاطف آدج خدها وهمس وهو يجذبها اليه:

ـ سمعتني، واعتقد انك تعلمين بانني اعني ما اقول.

طرفت عينا صوفي:

ـ اذن لماذا تريد ان ترسلني بعيداً؟

تنهد آدج:

ـ لا اريد ان ابعدك. اشعر فقط ان علي ان افعل.

ـ ولكن . . . ولكن يجب ان تعلم بانني . . .

ـ تشعرين بانك مغرمة بي؟ نعم. علمت بالأمر قبل الآن. لكنك صغيرة وقليلة الخبرة بينما انا . . . حسناً تعلمين نوع الحياة التي عشتها، كذلك سبق لي ان تزوجت.

ـ نعم، اخبرني بيرز بالأمر.

ـ هل فعل؟ كان تعبير آدج كئيباً، اوه حسناً، اذن تعلمين كل شيء عني. لكن انت . . . حياتك كلها امامك. اذا ذهبت الى المدرسة الصيفية

فقد تبرعين وتصبحين مشهورة. من يعلم؟ بالتأكيد هذا ما يجب ان اساعدك فيه.

وعانقته صوفي:

- اوه، آدج، آدج، لا تدري كم اسعدتني! اما بالنسبة الى التمثيل... فهذا فقط للنساء العازبات.

- انك تفترضين بأنني اريد الاقتران بك.

علق ادج ببعض النشافة، وتخضبت وجنتاه، لكنه هز رأسه بمكر واضاف قائلاً:

- وكأنما سأقبل بأقل من ذلك! لقد نلت مني يا حبيبتي وعندما لا يوجد سبيل للشفاء على المرء ان يستمر في تناول الدواء!

لمعت عينا صوفي:

- يا لهذا الدواء، انسمح؟

واقتربت منه تعانقه اكثر ثم سألته همساً:

- وماذا بالنسبة الى بيرز، اتعتقد انه يمانع؟

دفن ادج وجهه في شعرها:

- لا اعتقد، فهو مولع بك. وبالتأكيد فزواجنا سيسعد والدي.

- فعلاً؟ بدت صوفي متأكدة، لم يكن يتوقع منك ان تتزوج ثانية.

- حتى هذا المساء.

علق آدج مبتسماً وتابع:

- اعتقد ان لديه فكرة جيدة كم تعنين بالنسبة الي، اكثر مما كان يتصور، وذلك عندما عصفت في هذا المكان بحثاً عنك، وهز رأسه، يا الهي عندما افكر فيك وانت على تلك الصخرة تحت رحمة الطبيعة...

- لا تفكر بذلك...

حضنته صوفي في نعومة وبدا ان آدج استسلم لهذا الحنان الذي ابتدأ الآن.